الفصل الأوّل: لا تحاول أن تخلّص نفسك

إذا فكّرت في الموضوع، ستجد أن قيمة السماء بالنسبة لله وقيمتها بالنسبة لك أمران مختلفان. إنّ خلاصه للبشر، عندما حدّد ثمناً له، كان من خلال موت ابنه. لكنّك قد تعتقد أنّ أعمالك الصّالحة ستوصلك للسّماء التّي حصّلها يسوع المسيح ابن اللّٰه للإنسان دافعاً ثمنها بدمه. فهل تجرؤ أن تقارن حياتك البائسة مع حياة ابن اللّٰه المطيع، الذي أعطى نفسه حتى الموت؟ ألا تتأثّر بكونك تهين اللّٰه؟ ولو كان هنالك من طريقة للوصول إلى السّماء من خلال الأعمال، لماذا جعل ابنَه الحبيب يتحمّل كُلّ ذلك الألمِ والحزنِ؟ ولماذا مشهد جثسيماني؟ ولماذا طريق الجلجثة، إذا كان بالإمكان القيام بالأمر بسهولة وبطريقة أخرى. الحقيقة أنّك تهين حكمة اللّٰه ومحبّته.

لا توجد أيّ صفة من صفات اللّٰه، إلاّ ويطعن بها برّنا الذّاتي. إذ هو يحقّر من كمال اللّٰه، لمجرّد تعظيم ادّعاءات المخلوق المرفوضة من قبل اللّٰه إذ هي فارغة وعديمة القيمة. قد يقايض التّاجر ذهبه مقابل حليك المزيّفة، لكنّ اللّٰه يرفض تماماً أن تعطيه كلّ ما تملك. لإنّه يمنحك اللّبن والعسل بدون مالٍ أو ثمنٍ، وإن أتيت إليه محاولاً الإعتماد عليه، فهذه جميعها لك؛ ولن يوّفر لك اللّٰه فيض حبّه الذي لا تعرف أنت قيمته.

ما الذي تحمله لك أعمالك الصّالحة التي ترغب القيام بها، من البركات التي تتمنّى الحصول عليها؟ إنّي أعتقد أنّك تأمل بأن تحصل بأعمالك على إحسان اللّٰه وأن تضمن لك مكاناً في السّماء. فما الذي تقترح أن تقدّمه إذاً؟ ما الذي تستطيع أن تعطيه لله؟ فهل تجلب له أنهاراً من الزّيت، أو شحم عشرة آلاف حيوان؟ عدّ جميع الكنوز الموجودة تحت سطح الأرض، إن جلبتها كلّها، فما هي بالنّسبة لله؟ إذا جمعت كل ذهب العالم وجعلتهم كومة تصل للسّماء من ارتفاعها، فما هي بالنّسبة لله؟ كيف بإمكان كلّ هذه أن تغني اللّٰه أو أن تشتري خلاصه؟ هَلْ يُمْكِن أن يتأثّر بأي شيء تفعله؟ كأن تزيد من سعادته أو من مجد مملكتِه؟ إن كان جائعاً، فهو لن يطلب منك. "لأنّ لي حيوان الوعر والبهائم على الجبال الألوف" قال الرّب (مزمور 10:50). قد ترضي أعمالك وطيبتك

زملاءك، وقد تجعلهم ممتنّين لك إن قدّمت لهم عطايا كثيرة، لكن هل تقرض اللّه بهداياك؟ أو بصلاحك؟ إنّه لسؤال سخيف. عندما تكون قد قمت بكل شيء، ماذا ستكون سوى شخص فقير، غير مستحق، وخادم؟ أنت لم تفعل ما عليك فعله، بل أقل بكثير. فهل هناك توازن لصالحك للتّكفير عن ذنبك أو للحصول على ميراثٍ في مملكة النّور؟ أنتم الذين تحاولون أن تخلّصوا نفوسكم عبر إصلاح ذوتكم، وعبر المحاولات والمساعي الجديّة، دعوني أسألكم أمرًا، إذا لم يستطع شخص القيام بعملٍ ما بالرّغم من قوّته، فكيف يكون باستطاعته القيام به إذا كان يعاني من كسر في العظم؟

عندما كنتَ صغيرًا وعديم الخبرة، فأنت لم تسقط بعد أسيرًا لعادات وتقاليد شرّيرة. وبالرغم من فساد طبيعتك، أنت لم تصبح بعد أسيرًا للعادات في سجن حديدي، حتّى وإن تهت مثل خروفٍ ضال وإن سرت وراء الشرّير. أيّ سبب تملك لتفترض أن باستطاعتك تغيير دقّات قلبك، وكامل حركاتك، وفحوى حياتك، وأن تصبح رجلاً جديداً؟ "هل يغيّر الكوشي جلده أو النّمر رقطه" (إرميا 23:13). ألا يوجد هناك عشرة آلاف إحتمالَ مقابل واحد أنّك كما وقعت في الخطيّة سابقًا ستبقى دائمًا عرضة للخطيّة؟ قد تجد أن طريق إبليس هو طريق جذّاب وساحر جدًا وأنّك إغريت إليه، وأنّك ستبقى مغرى ومبتعد عن طريق النّزاهة حتّى تصبح مصمّمًا على الدّوس عليه.

إنّ طريق السّماء من خلال حفظ الوصايا التي أعطيت على جبل سيناء هو طريق ضيّق وشديد الإنحدار، وإنّ أيّ خطأ في خطوة واحدة منه هو كافٍ لضرب حياة أيّ رجل. قف في الأسفل وانظر عاليًا إليه إن تجاسرت ان تفعل. فعلى حافته الحجريّة، هنالك غيمة سوداء، تخرج منها لمدة طويلة بروق وأصوات بوقٍ مرتفعة. ألا ترى موسى النّبي يَرتعدُ، وهَلْ تَتجاسرُ بالوقوف غير مخجولٍ في حين كان موسى خائفًا ومرتبكًا؟ أنظر إلى أعلى، وتخلّ عن فكرة تسلّق تلك الخطوات الصخريّة، لأنّ أحدًا لم يحاول جاهدًا التسلّق على أمل الحصول على الخلاص دون أن يجد خرابًا ودمارًا وسط فظاعة الطّريق! كن حكيمًا،

وتخلّ عن ذلك الأمل الزّائف للخلاص والذي قادتك كبرياؤك إلى اختياره واعلم أنّ افتراضاتك ستقودك للشّعور بالنّدم.

افترض أنّك تستطيع القيام بشيء عظيم، مع أنّني متأكّد أنّك لا تستطيع، وافترض أنّه من المحتمل أن تكون من الآنَ فَصَاعِدًا مثاليًّا، وأن لا تخطئ ثانيةً في الفكر، أَو في القول، أو في العمل؛ كَيْفَ تَكُونُ قادرًا على التَكفيرِ عن إنحرافاتك الماضية؟ هَلْ أَدْعو إلى نبش مقبرةِ ذاكرتِك؟ دعْ ذنوبَكَ تَرتفعُ للحظة، وتَعْبرُ كشريط لاسترجاع ما مضى. آه، كم أنّ ذنوب شبابِك تخيفك؛ ذنوب منتصف الليل؛ ذنوب الظهيرةِ؛ ذنوب مضادّة للنور والمعرفة؛ ذنوب الجسد؛ وذنوب الروح! قد تقول أنّك نسيتهم، لكنّ اللّه لم يفعل. انظرْ إلى السِفر! تجد أنّ جميعها موضوعة هناك، جميعها مسجّلة في مفكّرة اللّه، ولا واحدة منسيّة – بل كلّها ستقرأ ضدّك في اليومِ الأخير، في يوم الدّينونة.

كَيْفَ يمكن للطّاعة المستقبلية أن تُعوّض عن تجاوزات الماضي؟ لقد سقطت صخرة الشّاطئ الشّاهقة ومع أنّ الموجة قد تغسلها عشرة آلاف مرّة، لكنّها لا تستطيع رفعها ثانية. إنّ النهار ساطع لكن ما زالَ هناك ليل، وأكثر الأيّام إشراقًا لا تُزيلُ حقيقة أنّه كَانَ يومًا مُظلمًا. يَعْرِفُ الرجلِ الواثق بنفسه أنّه لا يَستطيع إرْضاء اللّه بما يَعْمله، لأنه أصلاً لا يَستطيعُ إرْضاء نفسه؛ ومع أنَّهُ قَدْ يُخدّرُ ضميرَه، هناك عمومًا في داخله ما يكفي من عنصر القداسة لجَعْله يَشْعرُ ويَعْرفُ بأنّه لَيسَ كافيًا.

إنّ الإيمان بكلمة اللّه، والعمل بما يَأْمر به، ونوال الخلاص الذي قدّمه اللّه – هو أسمى وأفضل حكمة يملكها أيّ شخص. إفتح كتابك المقدّس. إنّه دليلُ السّائح، الذي فيه يَصِفُ اللّه المجد العتيد أن يكشف. هذه هي رسالة البشارة الوحيدة، "آمن واحيا". ثِقْ بالمخلّص المتجسّد، الذي جعله اللّه بديلاً للمذنبين. اتّكل عليه بكلّ قدرتك تخلص.

الفصل الثّاني: محتقرون يبحثون عن يسوع

وكان جميع العشّارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه. لوقا 1:15.

لقد شكّلت الأصناف المنبوذة والأكثر إحتقاراً في المجتمع حلقات من السامعين يلتفّون حول ربّنا. وأستطيع أن أفهم من هذا بأنّ إلهنا كان شخصاً مقبولاً جداً، إذ رحّب بثقة الناس وكان يرغب بأنّ يتجاوب الجنس البشري معه.

لقد فضّل الملوك الشرقيّون أن يكونوا بعزلة عظيمة، وكانوا يحيطون أنفسهم بنوعٍ من الحواجز المتعذّرة الاجتياز. وقد كان من الصّعب جداً حتّى لأكثر رعاياهم موالاة، أن يقتربوا منهم. ولعلّك تذكر حالة أستير، التّي بالرغم من كونها زوجة الملك، كادت أن تخاطر بحياتها عندما تقدّمت لتقابل الملك أحشويرش، لوجود أمر صادر عنه يمنع دخول أيّ أحد أمامه ما لم يكن مدعوّاً للدّخول، تحت خطر فقدان حياتهم. إنّما ليست هذه هي الحالة مع ملك الملوك. فقصره أكثر روعة؛ وشخصه أكثر تبجيلاً؛ لكنّك تستطيع أن تقترب إليه في كلّ الأوقات من دون عوائق. وهو لم يضع رجالاً مسلّحين على مدخل بابه. فباب بيت رحمته رحبٌ ومفتوحٌ دائماً. وعلى عتبة بوّابة القصر مكتوبٌ "اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتَح لكم." متّى 7:7.

وحتّى في أيامنا، لا يستطاع الاقتراب من العظماء بسهولة. فهنالك العديد من الدرجات الخلفية التي عليك تسلّقها قبل الوصول إلى الشخص المسؤول الذي يمكنه المساعدة، وهناك العديد من الخدم الذين عليك تجاوزهم، ممّا يجعل ذلك صعباً جداً لإنجاز هدفك. قد يكون

الرجال الجيّدون أنفسهم لطفاء بما فيه الكفاية، لكنّهم يذكّروننا بالخرافة الروسية القديمة التي تتحدّث عن رب منزلٍ مضيافٍ في إحدى القرى، أراد أن يساعد كلّ الفقراء الذي يأتون إلى بابه، لكنّه أبقى العديد من الكلاب الكبيرة داخل ساحة منزله بحيث أنّ أحداً لم يكن قادراً على الوصول إلى العتبة، ولذا لم تكن لطافته الشخصية تفيد أحداً. ليست هذه هي الحالة مع سيّدنا.

مع أنّ يسوع المسيح هو أعظم العظماء، وأسمى من الجميع، لكنّه سرّ بأن يزيل خارج الطّريق كلّ عائق قد يمنع الخاطئ من الدّخول إلى أمجاد السّماء وترفها. فلم نسمع من شفاهه أي تهديدات ضدّ هذا الدّخول، بل مئات الدعوات للدخول إلى الألفة الغالية مع الله. يسوع قريب ليس بين الحين والآخر، بل في جميع الأوقات، وليس لبعض المفضّلين لديه، بل لكلّ الذين أوقد الرّوح القدس في قلوبهم الرغبة بالدخول إلى حضرته.

لقد كان لمعلمي الفلسفة في أيّام سيّدنا المسيح ميلٌ كبير إلى العزلة. واعتبروا تعاليمهم عميقة جداً بحيث ما كانت تعلن للشّعب. ولقد كان شعارهم الهازئ: "أنت بعيد، إذن أنت نجس". وكانوا يقفون على نصبٍ شّامخٍ من غرورهم الوهمي، وكانوا من حينٍ إلى آخر يلتفتون التفاتة عابرة على الحشود العامة تحتهم، لكنّهم لم يتنازلوا للكلام معهم بطريقة حميمة، معتبرين أنّ تواصلهم مع عامة الشّعب هو أمر مشين بالنسبة لفلسفتهم. ولقد كتب أحد الفلاسفة العظماء على بابه، "يمنع دخول أيّ شخصٍ يجهل علم الهندسة." لكنّ ربّنا، الذي يعدّ أحمقاً كل من يقارن به – هو في الحقيقة، حكمة الله – فهو لم يبعد أبداً أيّ خاطئٍ بسبب جهله، ولم يرفض أيّ باحثٍ لأنه لم يبدأ بعد بأخذ الخطوات الأولى في سلّم العلم، ولم يسمح لأيّ روح عطشى أن تطرد بعيداً عن ينبوع الحقيقة السامية. فكلّ كلمة ينطق بها هي ماسةٌ، وشفاهه تقطر لآلئ، وهو لم يكن يشعر أنّه في بيته إلاّ عندما كان يتكلّم مع عامة الشعب، معلّماً إيّاهم عن ملكوت الله.

فإنّ ربّنا يسوع هو الوسيط بين الله والإنسان. ومن الطّبيعي أن يكون من السّهل الوصول إلى مكتب الوسيط. كما أنّ أي وسيط ليس لطرف واحد – بل يجب أن يكون قريبًا من كلا الطرفين الذي هو يتوسّطهما. وإذا كان يسوع المسيح وسيطًا مثاليًا بين الله والإنسان، فهو قادر على الاقتراب جدًا من الله لكي يدعوه الله مماثلاً له، كما يجب أن يقترب كثيرًا من الإنسان حتّى لا يخجل هذا الأخير من أن يدعو يسوع أخاه. هذه هي بالضبط الحالة مع ربّنا.

فكّر بشأن هذا، أنت الذي تهاب يسوع المسيح. يسوع هو الوسيط، وكوسيط باستطاعتك المجيء إليه. لقد امتدّ سلّم يعقوب من الأرض إلى السماء، لكن إذا قطعت بعض الدرجات السفلية، فماذا يفيد وجود السلّم؟ ومن يقدر أن يتسلّقه؟ إنّ يسوع المسيح هو الرّابط العظيم بين الأرض والسماء، لكن إن لم يمسّ الرجل الهالك المسكين الذي يجيء إليه، فما نفعه إذًا لبني البشر؟ أنتم تحتاجون إلى وسيط بينكم وبين السيد المسيح. هنالك مؤهلات ضرورية للمجيء إلى الله – فلا يمكنك أن تأتي إلى الله بدون أيّ مؤهلات، وبدون أيّ صلاح، لأنه كوسيطٍ لديه كل الصّلاح واللياقة التي تطلبها، وهو مستعدّ لمنحها إيّاك. يمكنك الآن أن تأتي بجرأة إليه الآن؛ فهو ينتظر لمصالحتك مع الله بدمه.

واحدة من وظائف السيد المسيح الأخرى هي وظيفة الكاهن. إنّ كلمة "كاهن" أصبحت تستعمل بشكلٍ سيئ جدًا في الوقت الحاضر؛ لكنّها كانت كلمة حلوّة جدًا كما نرى في الكتاب المقدس. فكلمة كاهن لا تعني مجرّد مدّعٍ يلبس لباسًا مبهرجًا، يقف بعيدًا عن بقيّة المصلّين الآخرين، وأعلى بدرجتين عن بقيّة النّاس، ويزعم أنّ لديه القدرة على مغفرة خطايا الجنس البشري. لقد كان الكاهن الحقيقيّ فعلاً أخًا لجميع النّاس. فلم يكن هنالك أحد من بني إسرائيل قريبًا من الشّعب كهارون. ففي الحقيقة، كان هارون والكهنة الذين خلفوه في مقدّمة من يتّصل بالنّاس، نيابة عن الله، وعندما كان يصاب شخص بالبرص، يصبح قذرًا جدًا لا يقترب منه أحد، والكاهن مخوّلاً بلمسه. قد يكون البيت معرّضًا للبرص، لكنّ الكاهن يدخله؛ وقد يكون الشّخص أبرص،

لكنّ الكاهن يكلّمه ويفحصه؛ وإذا عولج بعدها الرّجل المريض، فالكاهن هو أوّل من يلمسه. "اذهب وأر نفسك للكاهن"، هذه كانت الوصيّة لكلّ أبرصٍ متعافٍ، وحتّى يراه الكاهن ويبقى بصحبته ليعطيه شهادة صحيّة، لا يمكنه أن يُستقبل داخل المحلّة اليهوديّة.

لقد كان الكاهن الأخّ الحقيقي للناس، مختاراً من بينهم، وقريباً منهم في جميع الأوقات؛ ساكناً بينهم، وفي وسطهم، وجاهزاً ليشفع بالأشرار والحزانى. بالطّبع أنك لن تشكّ أبداً بأنه لو اضطّلع يسوع بدور الكاهن، وهذا ما فعله حقّاً، فهو الأكثر قبولاً واقترابًا من كل الكائنات: قريب من الخاطئ المسكين، الذي استسلم لليأس، والذي لا يخلص إلاّ بذبيحة؛ وقريب من الزانية التي أخرجوها خارج الهيكل، والتي لا تطهر إلاّ بالدّم؛ وقريب من اللّص البائس الذي عليه أن يعاني من عقاب جرائمه، والذي لا يبرّئه منها إلاّ الكاهن الأعلى. لا يوجد أيّ شخص قد يهتمّ بعاقة ولو عابرة معك، لكن السيد المسيح يفعل. قد تكون مفصولاً عن كلّ البشر بشرّك، لكنّك لم تُفصَل عن صديق الخطاة العظيم الذي يرغب في هذا الوقت بأن كل الخطاة والمذنبين يقتربون إليه.

وكوظيفة ثالثة، دعني أذكر بأنّ ربّنا يسوع المسيح هو مخلّصنا؛ لكنّني لا أرى كيف يمكن أن يكون مخلّصاً ما لم يكن قريباً من الّذين هم بحاجة للخلاص. لقد مرّ الكاهن واللاوي على الجانب الآخر عندما كان الرّجل النّازف الذي وقع بين أيدي اللّصوص ممدّداً على طّريق أريحا؛ هما لم ينقذاه، ولا يقدران على ذلك؛ لكنّ المنقذ كان من جاء إليه، وانحنى فوقه، وضمّد جراحاته وصبّ عليها زيتاً وخمراً، وأركبه بلطفٍ وحبٍ على دابّته، وأخذه إلى فندقٍ، واعتنى به. لقد كان هو المنقذ الحقيقي. أيّها الخاطئ، سيأتي يسوع المسيح إليك حيثما كنت، وبالرّغم من كثرة فسادك وخطاياك وجروحك، فهي لن تبعده عنك. إنّ حبّه سيتغلّب على خطاياك وشرورك المقرفة، إذ أنّه قادر وراغب بأن يمنح خلاصه لمن مثلك. باستطاعتي ذكر العديد والعديد من وظائف السيّد المسيح، لكنّ

هذه الثلاثة كافية. إنّ الرّوح القدس سيبارك هذه الأدوار، ستجد أنّه من السّهل الوصول إلى يسوع.

الفصل الثّالث: باحثون يتلمّسون حضور المسيح

البعض منّا شفي، لذا فهو يتكلّم من تجربة أكيدة. أعرف شابًا أصيب بنوع فريد من اليأس والكآبة – وقد أمضى حياته يائسًا بسبب حزنٍ داخلي عميق؛ لكنّه وفي لحظة، انتقل إلى سلام عظيم بمجرّد الالتفات إلى الرّب يسوع المصلوب لأجله. هذا الشّكل الوحيد من أشكال الشفاء هو فريد من نوعه؛ إذ أنّه يتغلّب على كل الشرور الأخرى بنفس الإسلوب. يستطيع يسوع المسيح أن يشفي كبرياءك؛ وأن يحرّرك من الغضب؛ وأن يعالجك من الكسل؛ وأن يطهّرك من الحسد، ومن الفسق، ومن الحقد، ومن الشراهة، ومن كلّ أشكال الداء الروحي. وهو قادر على هذا، ليس بعمليات التعذيب الكفّارية، أو بالإماتات الخرافيّة، أو بالبلايا المحرقة؛ لكنّ الطريقة ببساطة هي كلمة منه، ونظرة منك، ويتحقّق كلّ شيء. عليك فقط أن تثق بيسوع المسيح لتخلص؛ تتحوّل إلى خليقة جديدة في لحظة؛ قِف على أقدامك ثانية لبدء حياة جديدة مع قوّة جديدة داخلك تقهر الخطيّة. نحن الذين نحمل هذه الشهادة نطالب بتصديقنا. نحن لسنا كاذبين. ولسنا نخفي احتيالاً زائفًا أمامك. إذ أنّنا شعرنا في أنفسنا قوّة المسيح الشافية. لقد رأيناه، كما نراه كلّ يوم، عند أشخاص آخرين، من كلّ الطّبقات والأعمار. كلّ الذين أطاعوا كلمة يسوع المسيح قد أصبحوا خليقة جديدة بقوّته. ليس هنالك فقط شاهد أو اثنين لتأدية هذه الشّهادة؛ بل هناك مئات الآلاف التي تشهد على هذه الحقيقة نفسها؛ وليس فقط خدّام المسيح وحدهم، بل كلّ أصحاب المهن والحرف الأخرى. فهناك التّجار، والسّادة المحترمون، والعمّال، وأشخاص من مستويات مختلفة، يستطيعون أن يقولوا، "نحن أيضًا شهود بأنّ السيد المسيح يمكن أن يشفي الروح".

هنا، إذًا، تكمن الأعجوبة - بأنّ أولئك الذين يعرفون هذا لا يحتشدون فورًا أمام المسيح للحصول على البركة ذاتها. فإنّ سلوك أولئك الذي نراهم في الإنجيل كان سلوكًا عقلانيًا. لقد سمعوا بأنّ السيد المسيح شفى الكثيرين، وكان منطقهم العملي، "فلنشف نحن أيضًا!" أين هو؟ دعنا نصل إليه. هل هناك حشود تتقدّم إليه؟ دعنا نتدافع لنشقّ طريقنا بالقوة بين الحشود حتّى نلمسه، ونحسّ القوّة الشّافية النّابعة منه. لكنّ البشر الآن يبدون وكأنّهم تخلّوا عن رشدهم. يعرفون بأنّ البركة متوافرة وأبديّة ولا يمكن مقارنتها لا بالذّهب، ولا بالماس؛ ورغم ذلك هم يديرون ظهورهم إليها! تجذب الأنانية الرجال عادة إلى أماكن حيث الأشياء الجيّدة تُكسَب: لكن هنا أفضل شيء – ألا وهو امتلاك روح سليمة، وكسب طبيعة جديدة التي ستمكّن المرء من مشاركة المجد الأبدي مع ملائكة النّور – وهذا متوافر بحريّة، رغم ذلك فالمرء، هو غير صادق مع نفسه، ولا يترك حتى الأنانية القويمة أن تحكمه، ويبتعد عن ينبوع كلّ خير ليبقى هالكًا بالعطش الأبدي.

إنّ الخبر المفرح يلقى على مسامعك، ولم يرسله اللّه بنيّة أنّك بعد أن تسمعه لن تجد الرّحمة التي تبحث فيه عنها. فإنّ اللّه لا يعذّب، ولا يخدع بني البشر. هو يطلب منك المجيء إليه. تب وآمن به، تخلص. إن أتيت بقلب منكسر، واثقًا بالمسيح، لا يوجد أيّ احتمال بأن يرفضك؛ وإلاّ فلماذا قد أرسلت البشارة والإنجيل إليك. ولا يوجد أيّ شيء يبهج يسوع المسيح كخلاص الهالكين. كما لا نجد أبدًا أنّ يسوع كان يومًا في مزاج سيء عندما كانت الجموع تضغط عليه لتلمسه. بل على العكس، إنّ هذا الأمر زاد من سروره المقدّس لمنح قوّته الشّافية. أنتم، الذين تعملون في التّجارة، لا تكونوا سعداء إلاّ متى كان عملكم ناشطًا؛ ويسوع المسيح، الذي يسعى إلى ربح النّفوس لا يكون سعيدًا إلاّ حين يكون ملكوته يمتدّ بسرعة. أيّ سرور يشعر به الطّبيب حين يعالج مريضًا ويجلب له العافية! وأعتقد أن مهنة الطّبيب هي إحدى أسعد المهن حين يكون الطّبيب ماهرًا. إنّ سيّدنا المسيح يشعر بفرحٍ عظيم حين ينحني أمامه قلب منكسر ليرفعه عاليًا. إنّ السّماء ذاتها تريد عمل الخير لبني

البشر. أنت تسيء التّقدير إذا كنت تعتقد بأنّه يريدك أن تجادله وأن تقنعه أن يكون عنده رحمة؛ بل هو يعطيها مجانًا كما تعطي الشّمس نورها، وكما تعطي السّماء النّدى، والغيوم المطر. بل إنّه شرفٌ له أن يبارك المذنبين؛ ويعطيهم اسمًا وعلامة أبدية لا تمحى.

أعلم بأنّني أيضًا، خذلته مرّة؛ عندما أحسست أن ذنوبي أصبحت عبئًا عظيمًا، قلت في نفسي، "سآتي للمسيح، لكنّه ربّما سيرفضني". لقد ظننت أنّ لديّ الكثير لأشعر به والكثير لأفعله لأكون مستعدًّا، ولقد عملت هذا وذاك، ولكن كلّما بذلت جهدًا، أصبحت أسوأ. لقد كنت كالمرأة التي صرفت أموالها على الأطبّاء ولم تتحسّن، بل بالأحرى أصبحت أسوأ. كنت أفهم بالكامل أنّه هناك حياة بمجرّد النّظر إلى المسيح، وأنّ كلّ ما كنت أحتاج إليه هو ببساطة أن أثق، وأن آتي كما كنت وأضع حالتي بين يديه العزيزتين المثقوبتين، وأتركها هناك، ورغم هذا لا أزال أعتقد أنّ هذا لا يمكن أن يحصل؛ يبدو الأمر بسيطًا، فكيف يمكن أن يكون صحيحًا؟ وهل هذا كل ما في الأمر؟ لقد اعتقدت أنّه حين سآتي إليه، سوف يقول لي، "أيّها الخاطئ، لقد رفضتني لمدّة طويلة، لقد هزأت بي بتلاوة صلاوات لم تكن تعنيها؛ لقد كنت مرائيًا تنضمّ إلى شعبّ الرّب في وقت التّسبيح في حين لم تكن تسبّح الرّب في قلبك." لقد اعتقدت أنّه سيوبّخني ويجلب عشرات الآلاف من الخطايا إلى ذاكرتي. لكنّه وبدلاً من ذلك، احتجت إلى كلمة واحدة، وكل شيء كان قد تم. نظرت إليه، فاختفى العبء. أصبح بإمكاني أن أسبّح وأقول "أوصانّا! مبارك الآتي باسم الرّب، حاملاً الغفران في يدك اليمنى، والرّضى في يدك اليسرى، وبركاتٍ وفيرة إلى أقل النّاس استحقاقًا." يجب أن أقول لك الآن أنّ يسوع المسيح لا يزال يملك القدرة ذاتها على منحك خلاصه كما كان عندما أتى إلى الأرض. هو ما زال موجودًا ليشفع بالمذنبين. هو إذًا قادرٌ على منح الخلاص للّذين يأتون إليه؛ وما زال الأمر حقيقة، أنّ كل من يأتي إليه لا يطرحه خارجًا. فلا يوجد أيّ حالة لأيّ شخص قد وضع ثقته بالمسيح وخُذِلَ بالمقابل، ولن توجد مثل هذه الحالة.

لا تؤخّر في ثقتك بالسيّد المسيح. لا تعلّل نفسك بالأمل أن ثقتك بالمسيح ستكون يومًا أسهل ممّا هي اليوم. ولا تفكّر أنّك ستكون في حالة أفضل للمجيء إليه ممّا أنت عليه الآن. إنّ أفضل حالة في العالم بأسره لأن تغتسل هي أن تكون أصلاً قذرًا؛ وأفضل طريقة للحصول على المساعدة من أيّ طبيب هي أن تكون أصلاً محتاجًا للمساعدة. لا تحاول أن تصلّح تلك الخرق، ولا أن تجمّل من طباعك، ولا أن تحسّن نفسك قبل أن تأتي أمام السيّد المسيح. بل تعال إليه بكلّ فقرك وتفاهتك، تعال كما أنت، وقل له، "ربّي والهي، لقد عانيت كإنسانٍ من أجل ذنوب وخطايا كلّ من وضع ثقته بك؛ أنا أثق بك، اقبلني، واعطني سلامك وفرحك."

وأسألك أن تخبر العالم، سواء قبلك أو لا. وإذا كان قد رفضك بعيدًا، ستكون أنت أوّل شخصٍ رفض، لذا أسألك أن تخبرنا؛ ولكن إن هو قبلك، ستكون أنت واحدًا من بين الآلاف الذين قُبلوا، لذا أعلن عن ذلك ليكون خبر إيمانك قد تأكّد.

لا تكن أبدًا راضيًا بمجرّد الاقتراب من المسيح. فحين يكون هناك مناسبة دينيّة في الكنيسة، وتجدّد بعض النّاس، كثيرون آخرون يبقون مرتاحين إذ أنّهم كانوا بين جماعة المصلّين حيث أعمال الرّحمة كانت ظاهرة. إنّه لأمر مخيف أن يكون هنالك عدد كبير من الرّجال والنّساء الّذين هم راضون تمامًا بأن يكونوا قد أمضوا نهار الأحد في دار العبادة. افترض الآن، أنّ رجلاً أبرص يأتي إلى حيث يسوع موجود، ويرى الرّجال يتدافعون للإقتراب من يسوع، ويحاول أن ينضمّ إلى هذه الحشود، ويواصل الاقتراب لمدّة من الوقت، ثمّ يعود إلى بيته فرحًا تمامًا لأنّه انضمّ إلى هذا الحشد. وفي اليوم الثّاني، كان يسوع يشفي جميع المرضى، وكان هذا الأبرص ذاته قد انضمّ إلى الجموع المحتشدة، ودفع بنفسه مرة أخرى بالقرب من المخلّص، وبعد ذلك استسلم. "حسنًا"، قال، "لقد دخلت بين الحشود؛ وشققت طريقي بالقوّة، ولذا قد كنت على الطّريق، لعلّي إذًا قد حصلت على البركة." هذا هو بالضّبط حالة المئات والآلاف من النّاس الذين يذهبون إلى

مكان عبادة يوم الأحد. هناك الإنجيل؛ هم يأتون لسماعه؛ يأتون في الأحد التّالي، ويقرأ الإنجيل ثانية؛ يستمعون إليه، لكنّهم يذهبون في طريقهم كلّ حين. "أحمق!" قد تقولون للرّجل الأبرص، "لماذا لم تفعل شيئًا، دخولك بين الجموع ليس بشيء، إن لم تمسّ المسيح الذي يعطي الشّفاء، فأنت تخسر كلّ وقتك؛ بالإضافة إلى تحمّلك مسؤولية اقترابك منه، وعدم مسّك إيّاه، لقد خسرت فرصتك." إنّه الأمر نفسه بالنّسبة إليكم، أيّها النّاس الصالحون، الّذين يذهبون حيث يسوع المسيح يعلّم ويعظ بإخلاص. تجيئون وتذهبون، وتجيئون وتذهبون بشكل مستمر؛ وكم أنتم حمقى، للدّخول بين الحشود ولتكونوا راضين بذلك، دون أن تمسّوا يومًا المسيح! أخبروني عن ذهابكم إلى الكنيسة وإلى اجتماعاتكم! هم ليسوا بشيء ذا أهميّة ما لم تمسّوا المخلّص من خلالهم.

يجب أن أحذّرك ألاّ تكون راضيًا بلمس من شفي. هنالك العديد من بين الحشود، الّذين بعد أن لمسوا السيّد المسيح، هلّلوا وقالوا، "المجد لله، ذراعي الضّعيفة أصلحت"، "عيوني انفتحت"، "داء الاستقساء قد اختفى"، "شللي شفي". واحد تلو الآخر، يسبّحون الله لأجل عجائبه العظيمة؛ وأحيانًا كثيرة، كان أصدقاؤهم المرضى يسافرون معهم ويقولون، "يا لها من رحمة! فلنذهب للبيت سويّة". هم يسمعون كلّ شيء عنه، ويتحدّثون عنه، ويخبرونه للآخرين؛ لكن طيلة الوقت، مع أنّهم ابتهجوا للخير الذي عُملَ للآخرين، وتعاطفوا معه، هم لم يمسّوا السيد المسيح لأنفسهم. بنى نجارو نوح السّفينة، لكنّهم غرقوا جميعًا.

أه، أتوسّل إليك، لا تكن راضيًا بالتّحدث عن النّهضة، والتّكلم عن خلاص النّاس؛ بل كن مهتمًا فيها. دعنا لا نترك شيئًا يملأ واحدًا منّا سوى اتّصالك الرّوحي الفعلي بالسيّد يسوع المسيح. دعنا لا ننام أبدًا ولا ننعس حتّى ننظر فعلاً لتلك الذّبيحة العظمى حين حمل الله ذنوب البشر. دعنا لا نعتبر السيد المسيح مخلّص لشخصٍ آخر، لكن كن جديًا بسعيك للحصول عليه وليكن ملكًا لنا.

لقد قال لي شابٌ ذات مرّة، "أريد معرفة ما يجب عليّ فعله لأخلص".
ولقد ذكّرته بهذا المقطع من التّرنيمة،
كشخص عاجز وضعيف ومذنب وجدير بالازدراء
أسقط بين تلك الأيدي الحانية.
فقال لي، "سيّدي، أنا لا أستطيع السّقوط". فقلت له، "أنت لم تفهمني. أنا لا أعني سقوطًا يتطلّب أيّ قوّة فيك؛ بل أعني سقوطًا سببه غياب كلّ القوّة". إنّ معنى ما أقول هو أن تسقط بين يديّ الله لأنّك لا تستطيع أن تبقى واقفًا. سقوطك بين يديّ الله؛ هذا هو الإيمان. تخلّ فقط عن أعمالك، تخلّ عن اعتمادك على أيّ شيء تملكه أو تفعله، أو أيّ شيء تأمل أن تكون عليه، واعتمد على الإستحقاق الكامل، والعمل المنتهي، ودمّ يسوع المسيح الثّمين. إن عملت هذا خلصت.
أيّ عمل من أعمالك الخاصّة يفسد كلّ شيء. فأنت لا يجب أن يكون عندك ذرّة ملكك أو لقب خاصّ بك؛ بل عليك أن تتخلّى عن اعتمادك على صلواتك، ودموعك، ومعموديّتك، وتوبتك، وحتى إيمانك نفسه. إنّ اعتمادك هو فقط على يسوع المسيح. إنّ تلك الأيدي الغالية، والأقدام المباركة، هي رمز محبّته – انظر إليها. إنّ ذلك الشخص النّازف، والمتألّم، والمذبوح عنك، هو أكبر عطيّة من قلب الله المبارك. انظر إليه. انظر إلى آلامه، وحزنه، وتأوهاته. إنّها عقوبة الذنوب البشريّة. إنّه العقاب الإلهي الذي تحمّله يسوع عوضًا عن أن يتحمّله الخاطئ التّائب. آمن بيسوع، وهو بالتأكيد سيتحمّل العقاب عنك. ثق بأنّه قادر أن يمنحك الخلاص، وسوف تخلص.

الفصل الرّابع: ما زال الظّلام مخيّماً ... لماذا؟

ستكون مهمتي السعيدة أن أسعى للمساعدة بنقل أولئك الّذين يهربون من الظلمة الى النور. لذلك فنحن نحاول الإجابة على الاستفسار :"كيف أستطيع الحصول على النّور الذي لم أجده حتى الآن؟ لماذا تُركت لأتلمّس الحائط كرجل أعمى وأتعثّر ظهراً كما لو أنّه ليل؟ لماذا لم يكشف الرّب نفسه لي؟ لربّما كنت تبحث عن النّور في المكان الخطأ. يبحث الكثيرون من الناس مثل مريم عن الحيّ بين الأموات. ومن الممكن أنّك كنت ضحية التّعليم الخاطئ حيث سلام اللّٰه موجودٌ فقط في الطّقوس.ضمن المراسم.

ومن الممكن أيضاً أنّك كنت تبحث عن الخلاص ضمن الاعتقاد المجرّد لبعض المذاهب. لقد اعتقدتَ بأنّك لو تمكّنت من اكتشاف التّعليم الصّافي ومن ايداع روحك في قالبها ستكون رجلاً مخلّصاً؛ ولذلك بشكل صريح وبقدر ما تستطيع أنت قد آمنت بالحقائق التي تسلّمتها من تقاليد أسلافك. قد يكون مذهبك كلفينيًّا، ويمكن أن يكون أرمينيًّا، أو بروتستانتيًا، أو ربما كاثوليكيًا، وقد يكون حقيقة أو كذبة، لكن صدّقني أنّ سلام اللّٰه القوي الصلب لا يتواجد في أي جزء من أي مذهب إن كان حقيقيًا أو لا على حدٍ سواء. إنّ فكرة المذاهب ليست الطريق إلى السماء. "يجب أن تولد ثانيةً" تعني إلى حد كبير أكثر من الايمان ببعض العقائد. إنّني أضمن لك أنّه من المهم جداً أن تفتش في الكتاب المقدّس حيث تستطيع إيجاد الحياة الأبديّة؛ ولكن تذكّر كيف وبّخ اللّٰه الفريسيين وأخبرهم أن يفتّشوا الكتب المقدسة وأضاف :" ولا تريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة"(يوحنا 5 :40). أنت تقصّر في فهم الكتب المقدّسة بالتّالي تعجز عن بلوغ الحياة الأبدية. إنّ دراسة هذه الأمور، أمر جيّد، لكنها لا تستطيع أن تمنحك الخلاص؛يجب أن تسعى إلى أكثر

من هذا - يجب أن تأتي إلى يسوع المسيح الحيّ الذي صلب، لكنّه الآن حيّ وجالس عن يمين الله، وإلاّ فإنّ قبولك لأيّ مذهب لا يستطيع التأثير على خلاص روحك . أنت قد تضل في أساليب وطرق خاطئة للبحث عن السلام وتستطيع هذه الطرق ان تخدعك ولهذا فأنا أصلّي لك حتى ترى الخطأ وتميّزه من الصواب .

يجب أن تفهم أن هناك باباً واحداً للخلاص وهو السيّد المسيح؛ وطريقاً واحداً وهو المسيح؛ وحقيقة واحدة وهي المسيح؛ وحياة واحدة وهي في المسيح. يكمن الخلاص في المسيح فقط لا يكمن فيك، ولا في افعالك أو مشاعرك، ولا في معرفتك أو قراراتك. ففيه كلّ الحياة وكلّ النّور لبني البشر مذخراً بحسب رحمة الله الآب. قد يكون هذا هو السبب الوحيد الذي يفسر لك لماذا لم تحصل بعد على النّور؛ هذا لأنك كنت تبحث في المكان الخطأ .

من الممكن أنّك طلبت الأمور بطريقة خاطئة. عندما نسأل الغفران والمصالحة والخلاص يجب علينا أن نتذكّر إلى من نتحدّث، ومن نحن لنطلب الإحسان. يتعامل البعض مع الله كما لو أنّه ملزم بأن يعطيهم الخلاص؛ وكما لو أنّ الخلاص في الحقيقة كان نتيجة حتمية لمجمل أعمالهم أو جائزة مستحقة لمزاياهم. وهم يرفضون أن يروا أنّ الخلاص هو هدية تامّة من الله، ليس نتيجة الأعمال وليس نتيجة استحقاق، بل هو نتيجة عطيّة مجانيّة؛ ليست من إنسان بل من الله وحده. ومع أن الله قال في كلمته بأبسط الكلمات: "فاذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم "(رومية 16:9) ومع ذلك فإن معظم النّاس يتخيّلون في قلوبهم أنّ الحياة الأبديّة مرهونة بالأعمال ويمكن اكتسابها مقابل بضع واجبات. عليك أن تترك مثل هذه الأفكار المفعمة بالغرور والأنانية؛ وأن تأتي أمام الله بتواضع المستعطي، مطالبًا بوعود الرحمة، متخلّيًا عن كلّ أفكار الإستحقاق، ومعترفًا بأنّ الله له حق إدانتك، وإذا خلّصك فهو سيكون رد فعل الرحمة المجانيّة الصافيّة وعمل النعمة.

يرفع الكثير من الباحثين رؤوسهم عالياً جداً؛ لكن الحقيقة أنّه عليهم الانحناء لدخول الباب المتواضع إلى النّور. إنّ الركبة الجاثية هي العلامة الحقيقيّة للنّادم. "ارحمني يا اللّه. أنا الخاطئ" هي صلاة النّادم الحقيقيّة. إن أراد اللّه إدانتك، لا يمكنك أن تشتكي من الظلم الذي إستحققته ألف مرة، وإذا لم تستجب صلواتك أبداً، ولم تحصل على أي نوعٍ من الرحمة، أنت لا تستطيع أن تتّهم اللّه أبداً،لأنّه ليس لك الحق بأن تُسمَع. فبإمكانه أن يحجب عنك الإستجابة المطلوبة إن هو شاء.

اعترف بأنّك آثم غير مستحقّ وابدأ بالصّلاة كما لم تصلّ من قبل. اصرخ من أعماق ذاتك إذا كنت تريد من اللّه أن يسمعك. تعال كمتسوّل وليس كدائن. تعال مستعطياً وليس طالباً. استعمل فقط هذه الحجّة "اسمعني يا اللّه لأنّك رحيم، لقد مات المسيح؛ وأنا أبكي لك كمجرم مدان يريد العفو. خلّصني من الوقوع في الحفرة، حتّى أسبّح اسمك".

إنّني خائف أن يكون ملجأ الرّوح المتفاخرة مصدراً عظيماً من الأذية للكثيرين؛ وإذا كانت هذه هي الحالة معك، فعليك تعديلها، وعليك أن تذهب بقلب متواضع وتائب، وبانكسار وخضوع في الروح إلى أبيك الذي أهنته أي اللّه وهو بالتأكيد سيقبلك ابناً له.

إنّي أخاف أنّ بعض الناس لم يحصلوا على السلام إذ أنّهم لا يملكون بعد فكرة واضحة عن الطّريق الحقيقي لإيجاده. وبالرّغم من أنّه كثيراً غالباً ما علّمنا عنه، لا يزال غير مفهوم كلّياً. إنّ طريق السلام مع اللّه يلتبس على كثيرين، بحيث أنّهم سيسيئون فهمك مهما أفصحت عنه. إنّ خلاصك لا يعتمد على ما أنت تعمل، بل على ما عمله يسوع عندما قدّم نفسه كذبيحة عن خطاياك. إنّ خلاصك يتأصّل في آلام احتضار الجلجثة؛ إذ حمل البديل العظيم ذنبك وتحمّل العقوبة بدلاً منك. إنّ خطاياك لن تحطّمك، إذا على تلك الخشبة الدّامية، جعل الكاهن العظيم المختار من قبل اللّه، كفّارة تامّة للخطايا؛ عندها لن توضع الخطايا ضدّك أبداً. ما عليك فعله هو ببساطة أن تقبل ما قد أتمّه يسوع عنك. أعرف أنّ فكرتك هي أن تجلب شيئاً له؛ لكنّ هذه الفكرة المفعمة بالغرور خرّبت حياة الكثيرين، وستخرّب أكثر. عندما تأتي خالي

اليدين، مصمّمًا أن تقبل خلاص الله المجّاني والكامل من يديّ الله، فحينها، وحينها فقط، ستنال الخلاص.

هناك حياة لقاء نظرة إلى المصلوب.

لكن البشر لن ينظروا إلى الصّليب. لا، بل يتآمرون لرفع صليب آخر؛ أو هم يتطلّعون لتزيين ذاك الصّليب ببعض الجواهر؛ أو هم يعملون لتكليله بالزّهور النّاضرة؛ لكنّهم لن يلقوا نظرة بسيطة إلى المنقذ، ويعتمدوا عليه وحده. وفي النّهاية، لا يمكن لأي روح أن تحصل على السّلام مع الله بأيّ وسائل أخرى؛ بينما هذه الوسيلة فعّالة جدًّا بحيث أنّها لا تفشل أبدًا، ولن تفشل.

إنّ مياه أبانة وفرفر هي، بحسب طبيعة البشر المتعجرفة، مفضّلة على غيرها، لكنّ مياه الأردن وحدها يمكن أن تأخذ مرض البرص معها. (انظر إلى 2ملوك 5:1-14). إنّ الندم، والأعمال، والقرارات، هي كلّها ببساطة أوعية مكسورة؛ لكنّ تيار الحياة الوحيد سيوجد في نافورة الماء الحيّ الذي أوجده موت عمّانوئيل. فهل تستطيع أن تفهم أنّ بمجرّد الثّقة، والاعتماد المخلص، والاتّكال القلبي على يسوع المسيح تجد الطّريق إلى الخلاص؟ إذا كنت تعرف هذا، فليعطك الله، الّذي علّمك أن تفهم الطريق، نعمة للسّير فيه، وليكن نورك قد ظهر وأشرق. أنّ سلامك قد وُجدَ، إذ قد اشتراه المسيح بدمه. إذ أن كلّ من وضع ثقته به، انمحت ذنوبهم:

ضائعة كما في بحر فائض،
غارقة في دماء المخلّص
يا روحي المغفور لها، كم أنت مباركة،
ومبرّرة من كلّ شيء الآن.

إذا لم تمسّ أيّ واحدة من هذه الحجج حاجتك، ربّما لم تجد النّور بسبب سعي فاتر في اتّجاهه. إذ لم يدخل أحد السّماء برغبة فاترة. إنّ المصلّين بفتور لا تستجاب طلباتهم. عندما لا تُقدَر الرّحمة، ولا تطلب بجديّة، فلا عجب أن ترفض. يكذب الخاطئ مرارًا، سنةً بعد أخرى، متجمّدًا خارج باب رحمة الله، لأنه لم يسبق له أن هيّأ نفسه كليًّا لأخذ

مملكة السّماء بالعنف. فإن كنت راغبًا في ألاّ تخلّص، فإنّك ستُترَك للموت؛ لكن إذا كنت حتماً مصمّماً أنّك لن تدع اللّه يستريح حتّى تحصل على غفرانه، فهو سيعطيك رغبة قلبك. إنّ من يجب أن يخلص، سيخلص. ومن يضع قلبه ليجد الطّريق إلى تلّ الصهيون، سيجد ذلك الطريق. أعتقد بأنّه عادة ما يأتي الإحساس بالعفو إلينا، كشمشون مثلاً، عندما نتمسّك بأبواب الرحمة بعنفٍ مستميت، كما لو كنّا نسحبها إلى فوق، بدلاً من إبقائها مغلقة بعيداً عن السّلام والأمان. إنّ الدّموع والبكاء بقوّة، وأنين الرّوح، والشّوق العنيف، والطّلبات المستمرّة هي الأسلحة التي، بدمّ يسوع، ستقودنا إلى النّصر إذ نسعى إلى البحث عن المسيح. ربّما، حينها، لم تكن قد هيّأت نفسك كما يجب. ليت الرّب يساعدك لكي تكون مصارعًا مقتدرًا وبعدها أميرًا غالبًا!

الفصل الخامس: ننتظر نوراً

إشعيا 9:59

إنّي أخاطب أولئك الذين يريدون بصدق أن يحصلوا على النّور الحقيقي والسّماوي، والذي قد انتظروه بأمل كبير، ولكن بدلاً من أي يحصلوا عليه، أصبحوا في حالة شديدة من الحزن. بل هم ينقادون إلى مكان

مظلم حيث لا نور فيه، ويكونون سجناء مقيّدين أبداً في وادي ظلّ الموت. هؤلاء الناس هم بدرجة ما مدركون لظلامهم الطبيعي ويبحثون عن النّور إذ أنّهم غير راضيين بظلامهم. بعض النّاس غير راضين بأن يبقون على ما كانوا عليه يوم ولادتهم، فلقد اكتشفوا في طبيعتهم الأولى الكثير من الشّر وسيكونون سعداء إن تخلّصوا منه، ويجدون في فهمهم الكثير من الجهل، وهم يتوقون ليكونوا مستنيرين؛ هم لا يفهمون الكتاب المقدّس حين يقرأونه، وبالرّغم من أنّهم يسمعون مقاطع من الإنجيل، ما يزالون يخفقون في إدراك الفكر الإلهي. وهم يلهثون للهروب من هذا الجهل، ويرغبون بمعرفة الحقيقة التي تخلّص أرواحهم؛ ورغبتهم ليست فقط لمعرفتها نظرياً، بل لمعرفتها بقوّتها العملية الفاعلة في أعماقهم. هم يريدون بحقٍ وبقلقٍ أن يتحرّروا من حالتهم الطّبيعيّة، التي يشعرون بأنّها حالة خطيرة، وأن يأتوا إلى حريّة أولاد الله.

إنّ هؤلاء هم أفضل أنواع السّامعين؛ أولئك الذين صَحَت فيهم الرّغبات السّليمة. والّذين لا يسرّونَ بالظّلمة هم ليسوا بالضّرورة جميعاً أموات، لأنّ الأموات هم في المقابر، بغض النّظر عن كونه نهاراً أو ليلاً. من الواضح أنّ مثل هؤلاء الأشخاص، لم يكونوا في سبات تامّ، بل بسبب الظّلام هم في نوم عميق؛ وهم يرجون أن لا تسطع أشعّة الشّمس كيلا تتغّص عليهم. كما من الواضح، أن أمثالهم ليسوا عميان بالكامل، لأنّه لا فرق عند الأعمى لو كانت الشّمس تغمر الأرض بنورها، أو لو كان اللّيل يسدل ستاره الأسود عليها. إنّ أولئك الذين تحوّلت أفكارنا إليهم هم مستيقظون بطريقة ما، ولكن مع الأسف هذه ليست حتّى ببركة صغيرة للعديد من النّاس إذ أنّهم لا يدركون الأمور الرّوحية. وإنّ الواعظ يحاول جاهداً أن يخلق روحاً من بين أضلاع الموت، أو أن يبتزّ دموع الشّفقة بهدف إثارة عواطف النّاس الرّوحية. لذا فهؤلاء النّاس هم متفائلون في حالتهم، إذ كما تدير الأشجار أغصانها نحو نور الشّمس، هم يتوقون إلى يسوع، وإلى النّور وإلى حياة طبيعيّة.

زد على ذلك أنّ هؤلاء الأشخاص لديهم فكرة كبيرة عن ماهية الضوء فإنهّم يدعونه الإشراق. هم ينتظرونه، ويحزنون لأنه لا يأتي. إن كنت تقدّر الحياة الروحية فأنت لا ترتكب خطأً؛ إن كنت تحسبه أمراً بلا قيمة أن تحصل على اهتمام المسيح، ومغفرة خطاياك وسلام مع الله، فأنت تحكم باستخفاف. يجب ألاّ تبالغ في تقييمك لما هو وحده مطلوب. بالحقيقة إنّ الّذين يؤمنون بالمسيح هم أناس سعداء؛ وأن تُجلَب إلى سفينة الإبن، وتُقبلَ في عائلة الآب، هي عملية تبنّي يبادلها الملوك بأكاليلهم. لا يمكنك التّفكير إلى حدّ بعيد ببركات النعمة؛ إذ أفضّل أن أحرّض فيك اشتهاء مقدّس لها وبدرجة أكبر أن تخمّن من قيمتها. إنّ الخلاص هو بركة تمنحها لنا السّماء؛ فإن حصلت على النّعمة فقد حصلت على السّماء داخلك، وعلى الأمان، وعلى الوعد وعلى عربون النعمة الأبدية. حتى الآن، هنالك قدر كبير من الأمل والتّفاؤل داخلك. وهو أمر جيد أن تحتقر الظلام وتمجّد النّور.

إنّ الذين أودّ التّكلم إليهم لديهم بعض الأمل بأنّهم لربّما سيحصلون على هذا النّور؛ بل بالحقيقة، هم ينتظرونه وبأمل: لكنّهم قد يخيب أملهم بعض الشيء لو بعد طول انتظارهم لـلنّور، يأتي الظّلام. وسيكونون مندهشيـن حقاً من فشل آمالهم. هم يتعجّبون إذ يجدون أنفسهم يمشون في الظلام، عندما تمنّوا بشغفٍ لو أنّ نور المسيح شعّ من حولهم. وإنّي أشجّع فيك تلك الشرارة من الأمل، إذ إنّ اليأس هو أحد أكثر العوائق فظاعة لمنعك من قبول بشارة الإنجيل. وطالما إنّ المذنبيـن الصّاحين يتعلّقون بأمل الرحمة، إذاً هنالك دائماً أمل لهم. نتمنّى أيّها الباحث، أنّه قبل أن تصبح قادراً على طلب السّماح الذي يُشترى بالدّم، وعندما تنتهي، عليك أن تدخل أبواب المدينة اللؤلؤية المخصّصة للمباركين الذين سيرون دائماً وجه الههم. مع أنه خلال مشاهدتك لما هو غير قابل للتصديق، حتى خلال لحظاتك الهادئة فكّر بأنه في يوم من الأيام ستبتهج بأن المسيح معك، فخذ مكانك بين شعبه، بين أفقرهم حسب تقديرك. ثمّ تخيّل في قلبك كم أنّك ستحبّ مخلّصك بقوّة وحماس، وكم أنّك ستقبّل غبار قدميه، وكم أنّك ستبارك

بامتنانٍ من رفع الفقراء من مزبلة هذا العالم ووضعهم بين الأشراف.
فليتك لا تنظر بحزنٍ بعد الآن من خلال النّافذة إلى المأدبة، إذ أصبح بإمكانك الجلوس إلى الطّاولة، لتأكل من المسيح، مبتهجًا مع المختارين!
إنّ الأشخاص الذين أصفهم هم الذين تعلّموا كيف يدافعون عن حالتهم أمام اللّه. " ننتظر نورًا فإذا ظلام، ضياءً فنسير في ظلام دامس". إنّه إعلان عن شعور خفيّ وداخلي، وإظهار لآلام القلب. مع أنّك لم تجد بعد السّلام الذي تبحث عنه، لكنّه أمر جيّد أن تكون قد بدأت بالصلاة من أجل هذا الموضوع. من الممكن أن تكون قد فكّرت أنّها صلاة ضعيفة؛ أو أنّك لا تهتمّ أصلاً بأن تدعوها صلاة؛ لكن في الحقيقة، اللّه هو الذي يحكم ولست أنت. إنّ أيّ تأوّه هو مسموع في السّماء؛ وكلّ تنهّد عميق ودموع منهمرة هي أسلحة موجودة أمام عرش اللّه. نعم، إنّ روحك تبكي أمام اللّه، وأنت لا تستطيع المساعدة بشيء. وعندما تزاول أعمالك اليوميّة، تجد نفسك تقول وأنت تتنهّد " آه، لو أنّ حمل ذنوبي يختفي! آه، لو كان باستطاعتي أن أدعو اللّه أبي بلسان غير متلعثم!".
ليلة بعد ليلة، ونهارًا بعد آخر تزداد هذا الرّغبة كما ترتفع السّحب من الأودية صباحًا. يمكنك أن تخلع ذراعك اليمنى، أو عينك اليمنى، إن كنت ستكسب خلاص المسيح. أنت فعلاً متلهّف ومصدق للمصالحة مع اللّه، وقلقك يكشف نفسه من خلال الصّلاة والتّضرّع. وأنا أتمنّى أن تستمر هذه الصلاوات. كما أؤمن أنّ دموعك لن تتوقّف. ليت الرّوح القدس يجبرك على مواصلة التّنهّد والإلحاح! كمثل الإمرأة الملحّة المذكور في لوقا 18:1-8، وليتك تضغط على حالك حتّى تحصل على الجواب المليء بالرأفة من خلال استحقاقات يسوع المسيح. حتى الآن إنّ الأمور واعدة بالنّسبة لك؛ لكن عندما أقول واعدة، أتمنّى لو كان بإمكاني قول المزيد، إذ أن الأمل المجرّد غير كاف. ليس كافيًا أن نملك الرّغبة، ولا أن نملك الإرادة، ولا أن نصلّي؛ بل عليك أن تحصل على الحقيقة، وأن تمسك الحياة الأبديّة. فأنت لن تتمتّع بالرّاحة والسّلام حتى تنتقل من الأمل الضّعيف الذي تملك إلى مرحلة أفضل وأوضح، متأكّدًا من اهتمامك في المسيح يسوع، من خلال عيش إيمان حيّ وملائم.

فكل الهدايا والنعم التي تحتاجها مخزّنة لك في شخص المخلّص السّامي وجاهزة لتسديد حاجاتك. آه، ليتك تأتي إلى امتلائه، وتأخذ منه كلّ النّعم!

الشخص الذي أتمنى أن أعزّيه من الممكن أن أصفه بطريقة أخرى. إنّه شخص يرغب فعلاً بتعرية قلبه أمام اللّه، والإقرار برغباته، سواء كانت صحيحة أو خاطئة، وعرض حالته، سواء كانت صحيحة أو لا. فبينما نحن نخفي أيّ شئ عن اللّه، نكون أشراراً وحمقى. عندما تكون لدينا رغبة للإختفاء والاختباء بعيداً عن خالقنا، هذا دليل على وجود روح عاصية لدينا؛ لكن عندما يكشف الشّخص عن جراحه، ويعاين قروحه، ويطلب من الجرّاح استئصال برصه الذي يغطّي فساده، ويسأله أن يبحث عنه حتّى الأعماق، وأن يرى أيّ شر ساكن فيه؛ وأن لا يبقي عليه، بل أن يتأكّد من أنّه سيعالجه إلى التّمام. عندما يرغب المرء بأن يعترف أمام اللّه بحريّة، وبدون نفاق، ويبوح بما في داخله أمامه، فيصل إلى ما يرجوه. حين تخبر اللّه عن وضعك وتعرض أمامه مطالبك – أنا أؤمن بأنّك ستواصل عمل هذا حتّى تجد الرّاحة؛ لكنّني أملك أيضاً أملاً أكبر، بأنّك قد تحصل على السلام قريباً مع اللّه من خلال يسوع المسيح سيّدنا.

الفصل السّادس: الدّعوة

هل ترغب في الحياة الأبديّة؟ وهل هناك داخل روحك عطش وجوع لأمور ترضي روحك وتحييك إلى الأبد؟ إذًا "تعالوا لأنّ كلّ شيءٍ قد أُعدّ" (لوقا 17:14) – ليس بعض الأشياء، بل كل شيء. لا يوجد شيء تحتاجه بين الأرض والسّماء ولم يعطك الله إيّاه بالمسيح يسوع، في شخصه وفي أعماله. كلّ الأشياء معدّة: حياة مقابل موتك، مغفرة لذنوبك، تطهير لقذارتك، لباس لعريك، بهجة لحزنك، قوّة لضعفك، بل في الحقيقة، أكثر ممّا قد تريد إطلاقًا مذخّر لك في طبيعة وعمل المسيح غير المحدودين. وليس عليك أن تقول، "لا يمكنني أن آتي لأنّني لا أملك هذا أو ذاك." هل عليك أن تهيئ المأدبة؟ هل عليك أن تقدّم أيّ شيء؟ هل عليك أن تجلب الماء أو الملح؟ أنت لا تعرف ما هي حالتك الحقيقيّة، أو أنّك لا تحلم بشيء كهذا. فلقد اهتّم ربّ البيت بالعشاء بكامله؛ وليس عليك أن تؤمّن شيئًا بل عليك فقط أن تستمع بما هو مؤمّن. وإذا احتجت إلى شيء، فتعال وخذ ما تفتقر إليه؛ وكلّما مسّت حاجاتك، كان لديك السّبب الأقوى للمجيء حيث كلّ الأشياء التي تحتاجها ستؤمّن لك حالاً. إذا كنت بحاجة ملحّة ولا تملك شيئًا جيّدًا، فكلّ الأشياء مهيّأة لك. عندما قدّم الله كلّ شيء، ما الّذي يبقى لتقدّمه؟ إذ ستكون بمثابة إهانة أن تفكّر بإضافة بعض الأمور على ما سبق الله أن أعدّه؛ وسيكون تحدّيًا وقحًا للملك العظيم، وهذا ما لن يتحمّله الملك. كلّ ما تفتقر وأنت بين أبواب الجحيم، وأبواب السّماء، حيث ستأخذك النّعمة إن آمنت – الكلّ معدّ لك ومعطى بالمسيح يسوع المخلّص.

كلّ شيء معدّ. تمعّن في هذه الكلمة. الثيران والمسمّنات قد ذبحت؛ بل أكثر، لقد هُيّئَت لتؤكل، وتُتناول بشهيّة. يكون الأمر فعلاً مهمًّا حين يعطي الملك أوامره بقتل عدد كبير من العجول للوليمة، لكنّ المأدبة

غير معدّة؛ وحتّى حين توضع الذّبائح تحت الفأس، وتهيّأ للنّار، ستكون بمثابة خطوة كبيرة للأمام، لكن هذا لا يعني أن المأدبة قد أعدّت. الحقيقة هي أنّ الوليمة تعدّ تماماً حين يقدّم اللحم مشوياً وساخناً على الموائد، وكلّ شيء آخر تحتاجه أو تريده يوضع أمامك بترتيب لتتناوله، حينها يكون كلّ شيء معدّاً جاهز؛ هذه هي الحالة الآن. في هذه اللحظة بالذات ستجد أنّ الوليمة في أفضل حالاتها؛ ولم تكن ولن تكون أفضل ممّا هي عليه الآن. كلّ شيء معدّ بالطّريقة التي تريدها والحالة المناسبة لمتعة روحك وراحتها. كلّ الأشياء جاهزة الآن؛ ولا داعي لأن يضاف أيّ شيء على ما سبق أن أعد، كلّ شيء كامل بقدر كمال الحب الأبدي.

لكن لاحظ كلمة "الآن". "كلّ الأشياء هي الآن معدّة" – فقط الآن، في هذه اللّحظة. في الولائم، أنت تعرف، غالباً ما تتذمّر ربّات البيوت من ضيوفها إذا ما تأخّروا بالحضور. هي ستتأسّف إن أتوا أبكر من الموعد بنصف ساعة، لكنّ إن أتوا متأخّرين بنصف ساعة، ستنزعج كونها قد أعدّت كلّ شيء وضيوفها تأخّروا. لأنّها لو تركت الطّعام في الفرن لفترة قصيرة، فهو لن يهيّأ أبداً بل بالأحرى سيفسد. لذا فإنّ ربّة المنزل مطمئنّة بأنّ كلّ شيء معدّ، فتعال حالاً.

اللّه لم يقل لك أنّه إن انتظرت لسبع سنوات أخرى ستكون كلّ الأشياء معدّة وجاهزة لك. فإنّ هبة اللّه منحت منذ فترة طّويلة من الوقت، قبل وقت طويل من اقتناعك بالمشاركة في الوليمة، لكنّه يقول لك أنّ كلّ شيء معدّ الأن، وفقط الآن. الآن حين أصبح قلبك قاسياً وفكرك مهملاً وروحك تائهة – كلّ الأشياء أصبحت معدّة.

عندما تكون كلّ الأشياء معدّة، من التّفاهة أن يقول الخاطئ عن نفسه "أنا غير مستعدّ". من الواضح أنّ الاستعداد المطلوب من طرف الإنسان هو مجرّد الرّغبة بالمجيء وقبول النّعمة الّتي يمنحها اللّه. لا شيء آخر يهمّ؛ إذا وجدت الإرادة لدى النّاس، هم قد يأتون، أو بالأحرى سيأتون. حيث يسرّ اللّه بلمس إرادة النّاس حتّى يصبح لديهم الرّغبة تجاه المسيح، حيث يجوع القلب ويعطش للحق، حينها يتمّ كامل الاستعداد

المطلوب. كلّ المطلوب هو أن تحسّ أولاً بحاجتك إليه (وبأنّه قادر أن يمنحك ما تريد)، وأنّك ثانيًا وبإحساسك هذا، أنت تصمّم أن تأتي إليه. إنّ الإرادة بالمجيء هي كلّ شيء. إنّ الرغبة بالإيمان بيسوع المسيح، والإرادة بإلقاء روحك عليه، واستعدادك لقبوله كما هو، لأنّك تشعر أنّ يسوع هو فقط المخلّص الذي تحتاجه – هذا هو كلّ ما تحتاجه: لم يكن هناك أيّ رغبة أخرى لدى أولئك الفقراء والعمي والعرج والصّم ومع ذلك لقد أتوا إلى الوليمة. لا يقول النّص، "أنت مستعدّ، تعال إذًا"؛ فهذه طريقة لوضع الإنجيل جانبًا؛ إذ القول هو "كلّ الأشياء معدّة، الإنجيل معدّ، لذا عليك أنت أن تأتي". أما بالنسبة إلى رغبتك، فكلّ الرّغبة المطلوبة هي رغبة مصدرها الرّوح، إنّها رغبة بالمجيء للمسيح.

لاحظ الآن أنّ عدم استعداد أولئك الذين سألوا تنطلق من مقتنياتهم ومن قدرتهم. لقد رفض شخص المجيء لأنّه اشترى قطعة أرض. يا لعائق كبير يضعه الشّيطان بين روح الإنسان وبين المخلّص! فمن الأملاك الدنيويّة والأمور الماديّة بنى حائطًا كبيرًا ليفصل بين الخاطئ وإلهه. بعض الأشخاص لديهم الكثير من الأراضي تمنعهم من المجيء: هم يفكّرون كثيرًا بالعالم ولا يعيرون المسيح اهتمامهم. وآخرون لديهم الكثير من الأعمال الصّالحة التي تنمو بتزايد عندهم وتجعلهم يفتخرون بأنفسهم، وتقودهم إلى الإحساس بأنّهم أشخاص ذوو أهميّة كبيرة. كثيرون لا يستطيعون المجيء إلى يسوع المسيح للحصول على البركات إذ يظنّون أنّهم يملكون الكثير.

آخرون لا يستطيعون أن يجيئوا لأن لديهم الكثير ليعملوه، أو ما قد يفعلوه حسنًا – أحدهم اشترى خمسة أزواج بقر وهو ماضٍ ليمتحنها. هو شخص قويّ قادر على الحراثة؛ وكان السّبب وراء عدم مجيئه هو أنّه يملك الكثير من القدرات. الآلاف مبتعدون عن عمل النّعمة بسبب ما يملكون أو ما يستطيعون أن يفعلوه. أن تأتي إلى الوليمة جائعًا دليل أنّك مستعدّ لها أكثر بكثير من أن تأتي ملآنًا. كم من المرّات كان الفقر والعجز سببًا في قيادة النّفوس إلى المسيح يسوع. فعندما يعتقد شخص أنّه غنيّ، فهو لن يأتي إلى المسيح. وعندما يحلم شخصٌ

بأنّه قادر أن يتوب ويؤمن في أيّ وقت، وأن يفعل كلّ ما تطلبه نفسه، فلن يجد الرّاحة في المسيح. إنّ ما يمنعك عن المسيح ليس فقرك وإنّما هو ما تملكه. إنّ النفس الشرّيرة شيطان، لكن النفس ذات البر الذّاتي سبعة شياطين. وإنّ من يشعر بخطاياه قد يبقى لفترة من الوقت بعيداً بسبب ذنوبه، لكنّ من هو مقتنع ببرّه وصلاحه فهو لن يأتي أبداً؛ إلاّ حين ينزع اللّه عنه كبرياؤه، وحتّى ذلك الوقت هو سيبقى رافضاً عشاء النّعمة المجانيّة. فلطالما كانت الممتلكات والشرف والغنى عائقاً يمنع النّاس من المجيء إلى المخلّص.

ومن الناحية الأخرى، لا تشكّل حالة الفرد الشخصيّة مانعاً دون المجيء للمسيح، إذ إنّ حالة الحزن التي كانت على وجوه الضّيوف الحاضرين لم تمنعهم من المجيء إلى العشاء. بعضهم كان فقيراً، وآخرون تعساء ومُهمَلين بدون شكّ؛ هم لم يكونوا يملكون ولو فلساً ينعمون به. كانت ملابسهم رثّة، بل أسوأ من ذلك، كانوا قذرين؛ ولم يكن لائقاً بهم الجلوس قرب أناس محترمين، وبالتّأكيد لم يكن وجودهم إلى طاولة الرّب أمراً مشرّفاً؛ لكنّ من ذهب لإحضارهم لم يفتّش في جيوبهم، ولم ينظر إلى معاطفهم، لكنّهم أحضروهم للعشاء. لقد كانوا فقراء، لكنّ العبيد كانوا قد أُمِروا أن يجلبوا الفقراء، ولذا جلبوهم. لم يمنعهم فقرهم من أن يكونوا مستعدّين؛ ويا لفقرك أيّتها الأرواح، إن كان فقرها ماديّاً، أو روحيّاً، فلن يمنعها أيّ نوع من الفقر أن تكون مؤهّلة للحصول على الرّحمة الإلهيّة. إن كنت قد أنفقت فلسك الأخير ورهنت كلّ ما عندك، ولم يبق أمام عينيك سوى أن تعتقل وتسجن خلف القضبان للأبد، ولكن بالرّغم من هذا ما زال باستطاعتك المجيء مهما كنت فقيراً.

ومن الضّيوف من كانوا مشوّهين، لذا لم يكونوا جذّابين للنّظر؛ أحدهم فقد ذراعه، وآخر عينه، وآخر رجله أو أنفه. لقد كانوا يعانون من كلّ شكلٍ من أشكال التّشويه. أحيانا ندير رؤوسنا بعيداً، ونشعر أنّه علينا بالأحرى أن نعطي أيّ شيء بدل أن ننظر إلى المتسوّلين الذين يظهرون جراحهم، ويصفون كيف تشوّهوا. لكن لا يهم كم تشوّهوا

بشكل بشع؛ إذ هم قد أحضروا للوليمة، ولم يرفض أحد منهم بسبب الإعاقة الكبيرة التي يملكها. لذا، أيّتها الرّوح الضّعيفة، مهما مزّقك الشّيطان وشوّهك، ومهما كانت الحالة التي أوصلك لها مزرية، حتّى لتشعرين بالخجل من الحياة والعيش؛ إلاّ أنّ هذا لا يجعلك غير مؤهّلة للوليمة، بإمكانك أن تأتي إلى عشاء النّعمة تماماً كما أنت. إنّ تشويهك الأخلاقي والمعنوي سيصحّح قريباً حين يأخذ يسوع منك هذه الطّباع بيديه. تعالي إليه، مهما كنت حزينة ومجروحة من خطاياك.

لقد كان هنالك أيضاً بعض العرج الّذين فقدوا ساقاً، أو لم يستطيعوا أن يستعملوها بعد، وليس بمقدورهم المجيء إن لم يستندوا إلى عكّاز؛ ولكن مع ذلك ليس هناك أيّ سبب ليكونوا غير مرّحب بهم. آه، إن وجدت أنّ هذا صعب التّصديق، أن لا يكون هناك سبب يمنعك من المجيء والحصول على الغفران الذي يمنحك إيّاه يسوع. إن كنت مقعداً من الشّك وعدم الثّقة، تعال إلى الوليمة وقل "إلهي، أنا أؤمن؛ أعن ضعف إيماني".

آخرون كانوا عمياً، وعندما طلب منهم المجيء، لم يستطيعوا أن يروا الطّريق، لكنّ الرّسول لم يذهب فقط لإبلاغهم أن يأتوا، بل هو قد أُمِرَ أن يجلبهم بنفسه، وهكذا أصبحوا قادرين أن يأتوا. كلّ من أراد، كان لديه الرّغبة أن يمسك بيده بالإتّجاه الصّحيح. أنتم الذين لا تستطيعون الآن أن تفهموا الإنجيل كما تتمنّون، مشوّشين ومرتبكين، ضعوا يدكم بيد يسوع المسيح، وصمّموا أن تؤمنوا بما لا تستطيعون فهمه، وأن تدركوا بثقة ما أنتم غير قادرين أن تقيسوه بفهمكم. إنّ الأعمى، مهما كان جاهلاً وغير مثقّف، لا يجب إبعاده.

ثمّ كان هناك أناس الشّوارع ، أفترض أنّهم كانوا شحّاذين؛ ومن كان في الأزقّة، أفترض أنّهم كانوا يختبئون، أو من المحتمل أنّهم من اللّصوص؛ ولكن مع هذا هم أخبروا بأن يأتوا، ومع أنّهم من قطّاع الطّرق، هم لم يمنعوا من أن يرحّب بهم. كلّ أولئك المنبوذين، والمنسيّين، ومهما كانت حالتهم تعيسة، لا أحد يسأل، المهمّ أنهم حضروا إذ كلّ شيء كان معدّاً. تعال بثيابك الرثّة، تعال بقذارتك، تعال

بإعاقتك، تعال بقروحك، تعال بكلّ أنواع القذارة والنّجاسة، لأنّ كلّ شيء معدّ وكان عليهم أن يُلزموا بالدّخول.

إنّ عدم أهليّة هؤلاء كانت السّبب الوحيد الذي مكّنهم من الدّخول. إنّها حقيقة عظيمة أنّ ما نعتبره غير مناسب هو في أغلب الأحيان الأكثر مناسبة. إنّي أريدك أن تلاحظ معي أولئك العمي والعرج والفقراء. البعض ممّن دعوا لم يأتوا لانّهم كانوا قد اشتروا حقلاً، أو خمسة أزواج بقر، لكن حين ذهب العبيد ليدعوا الفقراء في الشّوارع، "تعالوا إلى الوليمة"، هم لم يقولوا أنّهم اشتروا حقلاً أو ثوراً، إذ أنّهم لن يستطيعوا، هم لا يملكون فلساً ليشتروا أيّ شيء، لذا فهم لا يتعرّضون لهذا الإغراء. عندما يدعى شخص للمجيء إلى السيّد المسيح ويقول، 'أنا لا أريده، أنا لديّ صلاحي الذّاتي' هو سيبقى بعيداً؛ لكن حين أتى يسوع المسيح إليّ، لم يمنعني الشّعور الكاذب بالإكتفاء، لأنّني لم ولم أفتخر ببرّي وصلاحي. أعرف بعض الذين لا صلاح لهم على الإطلاق حتّى لو بذلوا كلّ جهد، وهذا ما يساعدهم على قبول يسوع المسيح. يا لها من بركة كبيرة حين يكون لديك الإحساس بفقر روحك. إنّ ما يمنعك من البقاء بعيداً عن السيّد المسيح هو ما تملك.

آخرون لم يستطيعوا القدوم لأنّهم تزوّجوا حديثًا. أنا أعتقد الآن أنّ هؤلاء النّاس العرج والمعوقين هم مصابون جداً لدرجة أنّهم ليس لديهم زوجات، وحتّى أنّهم لا يستطيعون أن يجدوا أحداً. لذا ليس لديهم الرّغبة بالبقاء بعيداً. لقد كانوا معوّقين جداً لدرجة أنّهم لم يلفتوا نظر أحد. لكنّهم وجدوا في العشاء المبارك للحمل زواجاً أبديًّا أفضل بما لا يقاس. هكذا تقفد الأرواح الفرح والرّاحة الأرضيّة، لكن مع هذه الخسارة، هي تربح مكسباً أسمى: هم صمّموا إذاً أن يقتربوا أكثر من المسيح يسوع ليجدوا راحة أكبر وفرحاً أعظم. لقد أصبحت إعاقتهم لائقة بعد أن كانت مصدر عدم راحة.

لقد جعل عذراً واحداً يعيقه، "إنّي اشتريت خمسة أزواج بقرٍ، وأنا ماضٍ لأمتحنها". الأعرج لم يستطع أن يقول مثله. فعندما اقترب العبد من الأعرج قائلاً "تعال"، لم يجاوبه "أنا ذاهب اللّيلة للحراثة مع ثيراني

الجّديدة". فهو لم يذهب إلى الحقل منذ اليوم الذي فقد فيه رجله، لذا لا يمكنه قول مثل هذا العذر. لا يستطيع الأعمى أن يقول، 'لقد اشتريت قطعة أرض وعليّ أن أذهب لأراها'؛ إذ هو خالٍ من كلّ شهوات العينين والنّظر، لذلك كان جاهزًا للذّهاب إلى العشاء. عندما تشعر النّفس بخطيّتها، وبؤسها وضياعها، تشعر بأنّها لا تناسب المجيء للمسيح، لكّن الحقيقة هي أنّ هذه المشاعر تساعد، إذ هي تمنع النّظر إلى أيّ شيء آخر سوى المسيح، فلا تعود تقدّم أعذارًا، وتصير حرّة لأن تقبل مجانًا الخلاص بالنّعمة.

لكن ماذا عن الرجال الذي كانوا في الشّوارع؟ حسنًا، يبدو لي أنّهم كانوا خرجوا أصلاً من منازلهم دون أن يتناولوا فطورهم، هذا لو أنّهم يملكون أصلًا منزلاً ليبيتوا فيه. لقد كانوا يستجدون، وكانوا الأكثر استعدادًا لقبول دعوة إلى وجبة طعام، فهذا ما كانوا يسعون إليه. إنّ من لا يهتمّ لا بصلاحه ولا بأعماله الخاصّة، بل يقرّ بأنّه خاطئ كبير، يملك فرصة بالمجيء إلى السيد المسيح، أكثر من الذي يفتخر بنفسه معتدًّا ببرّه الذّاتي المزعوم.

الفصل السّابع: أمر لا بدّ من إصلاحه

يا له من خاطئ الإنسان الّذي لا يعترف بخطاياه! أو قد يعترف بخطئه، لكنّه لا يشعر بخزي فعليّ؛ أو حتّى ولو شعر بالخزي لفترة، يعود من جديد ليعمل الشّر نفسه فيكون ككلبٍ عائدٍ لقيئه، فكم هو عميق الشّر الكامن في طبيعته الأخلاقية، كم هو مريض، فهو لا يشعر بأنه يصنع

الخطيّة والشر. وعندما يقوم رجل بشر ما وهو يعلم بالخطأ الذي يقوم به، ويقف بتوبة مريرة ليعترف بخطئه، لماذا تنظر إليه بأمل؟ فبعد كلّ شيء هناك نقاط جيّدة حول هذا الإنسان، هناك حيوية فيه قادرة أن تطرد المرض. لكن عندما يرتكب بعض الأوغاد مخالفة خطيرة من دون سبب، هم لا يستطيعون في هذا الحين أن يعترفوا بأنّهم قاموا بعمل خاطئ، بل يستمرّون بشكل هادئ بممارسة المخالفة ثانية؛ آه، أين هو الأمر الجيّد في هذا؟ أليس هو أمر سيئ كفاية؟ الحقيقة، أنت مثل هؤلاء النّاس.

إذا كنت في علاقة جيدة مع الله، ستسقط أمام قدميّ أبيك، ولا تنهض حتى تحصل على الغفران؛ إنّ دموعك ستفيض نهارًا وليلاً حتى تحصل على المغفرة. ولكن وبما أنّ قلبك يبدو بنظرك مصنوعاً من فولاذ صلب، وهو مثل حجر الرّحى الذّي لا يحسّ بشيء، هنالك إذًا حاجة للشّفاء كما أنّك تبدو حقًا كالشّخص ذاته الذي جاء السيد المسيح ليخلّصه. فإنّ يسوع لم يأت من أجل الصّالحين بل من أجل الخطاة الذين هم بحاجة إلى التّوبة، ولم يأت لكي يخلّص من لا يحتاج للشّفاء بل من أجل من هم مثلك، من هم في حاجة مستميتة لشفائه.

كما لو أنّ إثباتك لحاجتك الخاصة للشفاء، تجعلك، وفقًا لرأيك الخاص، غير قادر على الصلاة. لقد كنت تحاول أن تصلّي مؤخرًا، وتتمنّى لو أنّك تستطيع. كنت تنحني على ركبيتك، لكنّ قلبك لا يتكلّم مع الإله؛ فزع مروّع يراودك، وأفكار طائشة وعقيمة تصرف إنتباهك. لقد قلت "سأعطي الكثير من المال مقابل دمعة توبة واحدة؛ سأقتلع عيني إن استطعت أن أدعو الله كما فعل العشّار قائلاً "اللهم ارحمني أنا الخاطئ". لقد كنت أعتقد أنّ الصلاة هي من أسهل الأمور في هذا العالم، لكنّني الآن أجد أنّ الصلاة الحقيقيّة هي فوق قدرتي. أنت تحتاج فعلاً إلى الشّفاء، إذ قد امتلكك شيطان مغفّل، وشياطين أخرى أيضًا، كما أنّك غير قادر على طلب الرحمة؛ إنّ حالتك هذه هي حقًا حالة حزينة. أنت تحتاج إلى الشّفاء، وأنا لا أستطيع المساعدة إن كرّرت الأمر،

'لقد شفى يسوع كل من هو بحاجة إلى الشّفاء'؛ فما الذي يمنع أن يشفيك أنت أيضًا؟

آه، أنت تخبرني بشعورك، ورغباتك وراء الأمور الجيدة هي غالبًا ما تتضاءل. ممكن أن يكون إيمانك جديًّا، لكن من الممكن أيضًا أن تكون غدًا أكثر إهمالاً من ذي قبل. لقد دخلت ذاك اليوم إلى غرفتك وتصارعت مع اللّٰه، ولكنّ أغريت وأصبحت غير مهتمٍ بالأمور المقدّسة كما أنّك لم تشعر أبدًا بقيمتها. إنّ هذا يعني أنّك تحتاج إلى الشّفاء. وفي الحقيقة، أنت غبي عندما تحاول أن تعبث بموضوع الأبدية، ولتلهو بأمر الموت والحكم، وأن تشعر بأنك في سلام في حين أنك على شرفة الجحيم- إنّ قلبك فعلاً يحتاج إلى الشّفاء؛ وأنا أأسف بأن تكون في هذا المأزق، مع ذلك أفرح أنني أستطيع أن أضيف، '"لقد شفى يسوع كل من هو بحاجة إلى الشّفاء'.

مع أنّك تدرك سوء حالتك، فأنت تصنع توبة لنفسك وتحاول تبرير ذاتك في نظر اللّٰه. وتقول "لقد تبت، أو سعيت للتّوبة؛ لقد صلّيت، أو على الأقل حاولت؛ لقد عملت كل ما باستطاعتي أن أعمل لكي أخلص، لكنّ اللّٰه لن يخلّصني". بمعنى آخر، أنت ترمي الملامة على اللّٰه بسبب خطاياك المميتة التي ارتكبتها، وتحاول أن تبدو بارًا أمامه. لا بد أن تدرك أنّ هذا خطأ. إن كنت لم تحصل بعد على خلاص المسيح، فهذا لأنّك لا تؤمن بيسوع. هذه هي العقبة الوحيدة والصّعوبة الوحيدة. إدانتك ليست من الإله، بل من نفسك؛ ولقد استوجبتها لنفسك بعنادك وعدم إيمانك بالسيد المسيح؛ وبما انّ شرّك العظيم يجعلك تتجاسر أن تعذر نفسك، فأنت تحتاج حتمًا إلى الشّفاء، وتحتاج سريعًا إلى الخلاص. لكن، في اللّحظة التي منحت نفسك فيها عذرًا، أصبحت تسرع بالإتّجاه المعاكس؛ أعلنت أنّك أخطأت بأمل زائل، وأنّك تستحقّ أن تكون الآن في جهنّم وأنّ اللّٰه لا يمكنه أبدًا أن يغفر لك. أنت تنفي رحمة اللّٰه، وترفض قوة المسيح بأن يغفر لك وأن يطهّرك؛ وتهرب من أمام كلمة اللّٰه، وتجعله كاذبًا.

وعندما يخبرك بأنّك إن آمنت بيسوع المسيح فستجد السّلام، تخبره بأن ليس من المحتمل أن يكون هناك أيّ سلام لك؛ وعندما يذكّرك بأنّه لم يرفض يوماً أحداً، تلمّح له بأنّه سيرفضك؛ أنت هكذا تهين العظمة الإلهية من خلال إنكار أمانة الله وصدقه. أنت تحتاج إلى الشّفاء عندما تسمح لليأس الهائل بالسّيطرة عليك هكذا؛ وبأن يذهب بك بعيداً وبعيداً جداً، لكنّني أسرّ لمعرفة أنّك ما زلت من بين أولئك الذين باستطاعة يسوع المسيح أن يشفيهم. إذ هو قد أتى من أجل الذين يحتاجون إلى الشّفاء، وأنت لا تستطيع أن تنكر أنّك أحد أولئك الأشخاص. حتى الشّيطان نفسه لن يملك الوقاحة ليقول لك بأنّك لا تحتاج للخلاص. آه، لو أنّك تدفع بنفسك إلى أحضان المخلّص – غير محاولٍ أن تبدو صالحاً بنظر ذاتك، بل مسلّماً بكل ما وضعته من حملٍ أمامك، وواثقاً كخاطئٍ بيسوع الذي هو حمل الله الذي يرفع خطايا العالم.

تذكّر أنّك تحتاج للشّفاء، لأنّك إن لم تشف من خطاياك، ومن ميولك وأفكارك الشّريرة، فحتماً أنت شخص ذاهب إلى جهنّم. لا أعرف حقيقة تجعلني أشعر بمثل هذا الألم لأعظ بهذه الأمور، ليس أنّ الخطاة سيدانون، بل الحقيقة الرّهيبة أنّ الخطاة الذين يعرفون عن الخلاص سيدانون ما لم يؤمنوا بيسوع المسيح. لا يمكنك أن تحصل على المسيح من خلال دموعك؛ كما يجب ألاّ تأمل أن تجد الأمان من خلال أفكارك المرّة ويأسك القاسي. إذ أنّك مالم تؤمن به، فأنت غير ثابت أبداً. ومالم تأت إلى المسيح، قد تكون مقتنعاً بالخطيّة، وبالصّلاح والدّينونة أيضاً، لكنّ هذا الاقتناع سيكون فقط بداية هلاكك. هل تدعو نفسك باحثاً، ولكنّك حتّى تجد ما تبحث عنه، فأنت عدو الإله، والله غاضب منك كلّ يوم. أنا لا أملك أيّ بديل لك، ومهما كنت لطيفاً ومكسور القلب، لكن الحقيقة هي آمن وعش؛ إذ أنّك إن لم تؤمن ستهلك، فدموعك وقلبك المكسور وندمك العميق المعلن لن يجعلك تقف في حضرة المسيح. عليك أن تؤمن بيسوع المسيح، أنّك ستموت إلى الأبد.

لا يهمّ أن أنظر نظرة عميقة إلى حالتك، تذكّر، فيسوع قد خلّص حالة مماثلة لحالتك. قد تدو حالتك بنظرك أنت غريبة جداً، لكنّك إن نظرت إلى

العهد الجديد، سترى في مكانٍ أو في آخر، حالة فريدة كحالتك. قد تقول لي أنّك شخص مليء بالشّر. لكن ألم يطرد يسوع سبعة شياطين من مريم المجدليّة؟ قد تقول نعم، لكن شرّي يبدو أعظم حتى من سبعة شياطين. ألم يخرج يسوع الشياطين الكثيرة من لجئون في كورة الجدريّين؟ تخبرني أنّك لا تستطيع أن تصلّي، لكنّه شفى شخصاً أخرس فيه شيطان؛ تشعر أنّك متحجّر وعديم الحس، لكنّه قد طرد فعلاً شيطاناً أصمّ. تخبرني أنّك لا تستطيع أن تؤمن؛ كذلك الرّجل الذي كانت يده يابسة ولم يستطع أن يمدّها إلاّ عندما طلب منه يسوع أن يفعل. تخبرني أنّك ميت في الذنوب والخطايا، لكنّ يسوع أقام الميت. لن تكون حالتك سيّئة لدرجة أنّك لن تجد حالة مثلها، ويسوع المسيح قد انتصر عليها.

تذكّر ثانية، إنّ يسوع المسيح قادر أن يخلّصك، لأن ليس هناك سجل في العالم، ولم تطلعنا التّقاليد أبداً عن حالة وحيدة فشل فيها يسوع المسيح. إن استطعت أن أصادف خلال تجوالي روحاً طلبت المسيح وحده، ومع هذا لم تحصل على الغفران- إن كان هناك في جهنّم روح واحدة اعتمدت على الدمّ الثمين وما وجدت الخلاص، حينها سيفقد الإنجيل نوره ومجده؛ ولكن بما أن هذا لم ولن يحصل أبداً، لن تكون أنت ايّها الخاطئ الإستثناء الأوّل. إن أتيت إلى المسيح – وذلك ببساطة عبر إيمانك به كلّيًا – فأنت لن تهلك أبداً، لأنّه قد قال، " لأنّ كل من يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً". فهل هو كاذب؟ وهل تتجاسر أن تظنّه هكذا؟ إذاً تعال، وهو لن يدعك خارجاً. فكّر للحظة أيّها الخاطئ، وهذا قد يريحك: إنّ من أخبرك عنه هو شافي روحك، إنّه اللّه. هل هناك شيء غير مستطاع لدى اللّه؟ أيّ خطيّة لا يستطيع اللّه أن يغفرها لك؟ لو كان من سيتعامل مع خطاياك ملاكاً، فخطاياك تفوق قوّة جبرائيل؛ لكنّه عمّانوئيل الّذي تفسيره اللّه معنا هو من أتى لكي يخلّصك. علاوة على ذلك، أنت لا تستطيع الشكّ في إرادته. هل سمعت عنه - هو اللّه الذي أصبح إنساناً؟

هو لطيف كإمرأة،

قلبه مليء بالرّقة،
وبفيض بالحبّ.

لم يكن يومًا قاسيًا. عندما أمسكت امرأة وهي تزن، وأحضرت إليه، ماذا قال لها؟ " ولا أنا أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضًا". لقد قيل عنه، 'هذا رجل يجلس مع الخطاة ويأكل معهم"، وهو اليوم لم يتغيّر وهو جالس في السموات؛ وهو ما زال ينتظر أن يقبل الخطاة كما كان يفعل عندما كان بيننا.

هل كان عمل الكفّارة مجرّد رواية؟ وهل كان موت ابن الله غير نافعٍ؟ لابدّ أن تكون هناك قوّة كافية لأخذ الذنب بعيدًا. تعال واغتسل، تعال واغتسل، أنت الذي جعلتك الخطيّة حقيرًا وملوّثًا، تعال واغتسل، وستجد تطهيرًا فوريًّا حين تؤمن بقوّة دمائه النقيّة.

يسوع يطلب ثقتك وهو يستحقها، دعه إذن يحصل عليها. أنت بحاجة إلى الشّفاء؛ وهو قد أتى ليشفي من هم بحاجة للشفاء، إذًا هو يستطيع شفاءك. ماذا ينبغي أن يفعل لكي تشفى؟ أن تُغفَر جميع خطاياك وتَخلُصَ نفسك؟ كلّ ما يجب فعله هو أن تتخلّى عن أعمالك الذّاتيّة، وأن تدعه هو يعمل عنك؛ توقف عن النظر إلى نفسك والآخرين، وتعال ببساطة واطرح نفسك أمامه.

" أوه"، قد تقول، "ولكنّني لا أستطيع أن أؤمن". أحقًّا لا تستطيع أن تؤمن! هل تعلم إذًا ما أنت فاعل؟ أنت تجعله كاذبًا. إن قلت لشخصٍ ما "لا أستيطع أن أصدّقك"، فهذه طريقة أخرى لتقول له "أنت كاذب". وأنت لا تجرؤ بأن تقول هذا للمسيح. كلا يا صديقي، دعني آخذ بيدك وأقول لك كلمة أخرى، يجب أن تؤمن به. إنّه الله، هل تجرأ أن تشكّ به؟ لقد مات من أجل الخطاة. هل تشك بقوّة دمه؟ فلقد وعد. هل تهينه عبر شكّك بكلمته؟ "آه، كلا"، تقول أنت، "أنا أشعر أنّه من المفروض عليّ أن أؤمن، وعليّ أن أثق به؛ ولكن افترض أن ثقتي ليست الثقة المطلوبة؟ وافترض أنّها يجب أن تكون ثقة طبيعية وتلقائية؟" آه، يا صديقي، إنّ الثقة المتواضعة بيسوع المسيح ليست أمرًا ينمو تلقائيًا. فإنّ مجيء نفسٍ إلى المسيح وإيمانها به هو دائمًا عمل الروح القدس.

لا يوجد أيّ شك بهذا الموضوع. لا يفعل الشيطان هذا ولا تفرغ الطّبيعة شخصاً وتجلبه للمسيح. لا تقلق بشأن هذا. إذ يقول أحدهم "الرّوح يجب أن يقودني لأؤمن به" لا يمكنك أن ترى الرّوح؛ وعمله سريّ وعجيب. ما عليك فعله هو الإيمان بالمسيح يسوع؛ هناك يقف، اللّه والرّجل المعذّب، عاملاً الكفّارة، وهو يقول لك بأنّك إن وثقت به تخلص. يجب أن تثق به؛ ولا يمكنك أن تشكّ به. ولماذا تفعل؟ هل قام بشيء يمنعك من الثقة به؟

صدّق الحقيقة المطلقة
انّه لك قد قدّم اللّه ابنه

وإذا كنت تثق به، فأنت بحاجة أن تثير هذا السؤال حول مصدر إيمانك. يجب أن يكون منبعه الرّوح القدس، االذي لا يرى في طريقة أعماله بل يعمل حيث يختار. أنت ترى نتيجة أعماله، وهذا كافٍ لك. هل تؤمن بأن يسوع هو المسيح؟ إذا كنت تفعل، فإذاً أنت ولدت من الرّوح. إذا كنت ألقيت نفسك عليه، إذاً أنت مخلّص.

لقد قرأنا كيف نجا شخص من طلقٍ ناريّ. لقد حوكم في محكمة اسبانيّة، ولكن لكونه مواطناً أميركيّاً من أصلٍ إنكليزي، تدّخل قنصلا هاتين الدّولتين، وأعلنا أن السّلطات الإسبانية لا تملك الحق بأن تحكم عليه بالموت. وماذا فعلا ليضمنا حياته؟ لقد لفّاه بالعلمين الأميركي والبريطاني، وقاما بتحدّي الجلاّد قائلين له "أطلق الآن طلقة إن كنت تجرؤ، لأنّكم إن فعلتم فأنتم تتحدّون الأمم الممثّلة بهذين العلمين، وستجلبون بالتّالي غضب هاتين الدولتين وقوتهما عليكم". هناك وقف الرّجل وأمامه وقف الجنود، وفكّر أنّ طلقة واحدة كفيلة بأن تنهي حياته، وبالرغم من ذلك كان آمناً بفضل المعطف الذي حسبه كأنّه من الفولاذ. بالطريقة عينها، أخذ يسوع المسيح روحي الضعيفة والآثمة مذ آمنت به، وأخذ العقاب، لقد أهان ابنه وعيّره من خلال التّضحية به؛ مبارك اسمه.

الفصل الثّامن: عراقيل في وجه النّور

من الممكن أن يكون في داخلك بعض الخطايا التي تؤويها تحت ظلّ شرّ روحك. عندما لم تتماثل رجل أحد الجّنود للشّفاء، ابتدأ الطّبيب الجّراح يفحصها بدقّة، ويعالج كل جزء منها. وبالرّغم من عدم وجود أيّ سبب للإلتهاب، لم يزل الجرح غير قابل للشّفاء. لقد حاول الجّراح أن يتحقّق من الجرح مراراً وتكراراً، حتّى اصطدمت الأداة التي يستخدمها بجسمٍ صلب غريب. فقال "ها هي، رصاصة مستقرّة هنا؛ ولا بد من إخراجها وإلاّ فلن يتعافى الجرح أبداً". قد أبحث فأجد سراً داخلك، وإذا وجدته ينبغي أن أخرجه، وإلاّ فأنت ستموت. لا يمكنك أن تتأمّل بأن تحصل على السّلام مع الله، وأنت منغمس في الإدمان والسّكر مثلاً. ما الذي يرضي الله في الإدمان على الخمر؟ لا يمكنك أن تأمل بأن تسعد بالسّلام مع الله، ومع هذا أنت ترفض أن تتكلّم مع أقربائك الذّين أهانوك منذ سنين مضت. كيف تريد أن يُغفَر لك، ما دمت ترفض أن تغفر للآخرين؟ إذا كان هنالك ممارسات مريبة في عملك؛ فهل تجرؤ أن تأمل أن يقبل الله بلص؟ لأنّك كاذب ولص. أنت تصنّف سلعك من دون أمانة، تحسبهم عشرين في حين أنّهم خمسة عشر؛ هل تقبل أن يكون

اللّٰه صديقك بينما تبقى أنت محتالاً؟ هل تعتقد بأنّه سيبتسم لك وأنت ما زلت في خبثك، ويمشي معك عندما تختار طرقاً قذرة؟ ربما تملك روحاً متغطرسة، أو ميولاً عاطلة؛ فلا يهمّ نوع الشّر الذّي فيك، إذ يجب أن يخرج، وإلاّ فإنّ سلام الإله لا يستطيع أن يسكنك. هل ترغب الآن بالتّخلّي عن خطاياك؟ إذا كنت لا تريد، فهذه كلّها مضيعة للوقت بإطلاعكم عن المسيح، لأنّه ليس مخلّص للّذين يصرّون على البقاء في الخطيّة. لقد أتى يسوع لكي يخلّص الشّعب من الخطيّة؛ وإذا كنت ما زلت ملتصقاً بإحدى الخطايا الّتي تحبّها، فلا تخدع نفسك، لأنّك لن تستطيع أبداً أن تدخل أبواب السّماء.

لماذا لم يجد البعض أيضاً النّور؟ لربّما كان السّبب أنّكم كنتم نادراً ما تطلبون السّلام مع اللّٰه؛ لربّما بعد أن تسمعوا عظة ما، تصحون؛ ولكن مع انتهاء العظة، تعودون إلى سباتكم مثل كسولٍ يعود إلى التّقلّب في سريره. بعد المرض، أو بعد وفاة أحد أفراد العائلة، تكون قد هيّأت نفسك بحماسة؛ ولكن ليس بعد هذا بكثير ستعود إلى قلّة الإهتمام ذاتها. تذكّر إنّ الذي يربح السّباق، هو ليس من يركض بجهد كبير، بل من يستمر في الجري حتّى يصل إلى خطّ النّهاية. لا يستطيع أيّ شخص أن يحصل على المسيح بمجرّد التّفكير به وحده الآن فقط، وبعد ذلك، وفي الوقت ذاته يبقي على الغرور والكذب في قلبه. من يحتاج فعلاً إلى المسيح سيحصل عليه. فقط من يحتاجه يحصل عليه، ومن يسلّمه كلّ قلبه وكيانه، ويصرخ قائلاً "سأبحث عن المسيح حتّى أجده، وحين أجده لن أتخلّى عنه أبداً".

دعني أذكّرك أنّ السّبب الكبير وراء عدم حصول النّفوس الجّادة على سلام سريع يكمن في هذا: أنّهم عصاة للنّصيحة الإلهيّة البسيطة والوحيدة "أمن بالرّب يسوع المسيح، تخلص". إنّي أشير بهذا الأمر إليهم. ليس من الضّروري أبداً أن يحاربوا شكوكهم ومخاوفهم؛ لأنّنا قد نحاول أن نفعل هذا، لكنّنا غير مدعوّين لفعل هذا الأمر؛ بل المسألة والحقيقة البسيطة هي أنّ اللّٰه قد رسم لنا طريق السّلام، وأنت لن تحصل عليه. لقد قال يسوع من أمن بي سيحيا: أنت لا تؤمن بالمسيح

ومع ذلك أنت تأمل بأن تحيا! لقد أظهر الله ابنه لك قائلاً، "ثق به"، وعلاوة على ذلك يقول "من لا يصدّق الله فقد جعله كاذباً" (1يو5:10)، ورغم ذلك تتجاسر ان تجعل الله كاذباً؛ طالما أنت في حالة من الشّك، فأنت تجعل من الله كاذباً! يا لفظاعة من يكون هكذا! إنّه ادّعاء غريب !لآثم يبحث عن السّلام مع الله

سأفترض أنّي أمسك بيدك، وأحدّق باهتمام شديد في عينيك. أخاف عليك بسبب الخطر بأن تصبح مصاباً بحزن طويل، وتسقط في سبات قاتل. لقد كنت تبحث عن الرّاحة، ولكنّك لن تحصل عليها، فيا لها من حالة حزينة أنت فيها! أنت الآن غير متصالح مع الله؛ وخطاياك تطالب بعقاب؛ أنت من بين أولئك الذي يغضبون الله في كل يوم. فهل تتحمّل بأن تكون في مثل هذا الوضع؟ أهناك شيء لا يدعوك إلى أن ترتفع وتهرب خارج هذه الحالة من الدّمار؟ كم من السّعادة تفوّت عليك في كلّ يوم! إن تمسّكت بإيمان بالسيد المسيح، فأنت تمتلك بهجة وسلاماً يفوقان كل عقل. لماذا تقلق في زنزانة عميقة وبائسة؛ في ظلام شديد سنة بعد أخرى، في حين أنّ الشّمس تشرق، والزهور تتفتّح، وكلّ شيء ينتظرك بفرح. آه، أيّ فرح تخسر بكونك شخصاً غير مؤمن! لماذا تبقى هكذا في هذه الحالة من الشّر والخطيّة؟ وفي هذه الأثناء، أيّ خير قد عملت؟ آه، لو أنّك عرفت يسوع المسيح قبل شهور، بدلاً من الجّلوس في ظلمة نفسك، كان يمكن أن تقود الآخرين إلى السيد المسيح أيضاً، وأن تميل عيون الآخرين إلى ذلك الصليب الغالي .الذي جلب السّلام إلى حياتك

أيّ خطيّة ترتكبها يومياً! لأنّك يومياً شخص غير مؤمن، ويومياً أنت تنكر قدرة المسيح، وبذلك أنت تهين مجده. ألا يجعلك روح الله الذي في داخلك تقول "سأقوم وأذهب إلى أبي؟" آه، لو كان هنالك مثل هذا الفكر يهزّ روحك، فلا تقمعه، بل أطعه، قم واذهب، وستكون ذراعي أبيك محيطة بك قبل حتّى أن تغيب شمس اليوم. في هذه الأثناء، اسمح لي أن أقول، كم هي عمليّة صعبة شاقّة عديمة الحسّ هذه التي تحصل معك! وإن لم تكن جيّدة، أنت حتماً أسوأ ممّا كنت عليه منذ سنة.

لماذا هذه الوعود كانت تريحك أمس، أمّا الآن فلا؟! وتلك التّهديدات التي باغتتك لم تعد كذلك الآن! فهل ستتوانى بعد؟ لقد انتظرت لكي تكون أفضل، وأنت تن‌تق من سيّء إى أسوأ. لقد قلت، " سوف آتي في وقتٍ مناسبٍ لاحق من السّنة"، وكلّ فصل هو غير مناسب أكثر من الفصل الّذي سبقه. لذلك أنت تشكّ إذًا أنّك اليوم ضحيّة لشكوك أعمق وأكثر دناءة. آه، لو أنّك تؤمن به، فإنّه أهل للثقة! آه، لو أنّك تثق به لأنّه لا يخذلك ولا يخدعك أبدًا! أصلّي أن يأتي اليوم، واللّحظة التي ستنزع عنك الغبار، وتلبس رداءً جميلاً، مقابل كلّ ساعة تجلس فيها على حمأة شكوكك المحطّمة لروحك والتي تربطك بقوّة من حديد إلى مقعد اليأس. عيناك تكبر تدريجيًا، ويداك تشّل أكثر، والسّم في عروقك يؤلمك بقوّة. لكن هناك صليب المخلّص، وهنالك فعاليّة دم المصلوب. ثق بيسوع الآن، وحينها وفي تلك اللّحظة ستحيا في سلام. إنّ باب الرّحمة يتأرجح على مصراعيه ويفتح بأكمله في وجه كلّ روح تدفع بنفسها في حضن المخلّص. آه، لماذا تنتظر؟ قد يصيبك أيّ مكروه. إنّ الشّمس بدأت بالمغيب؛ فاستعجل، أيّها المسافر، في حال كنت تريد الذّهاب إلي ليلة أبديّة.

هناك العديد من معارفك، يؤمنون بالمسيح يسوع وقد وجدوا النّور الحقيقي. لقد عانوا لمدّة من الإحباط مثلك، لكنّهم وجدوا السّلام الدّاخلي، سلام القلب والرّوح. لقد أتوا إلى المسيح كما كانوا، وفي هذه اللّحظة يمكنهم ان يؤكّدوا لك أنّهم الآن مكتفون وراضون. وإن وجد الآخرون مثل هذا السّلام، فلماذا لا تسعى إليه أنت أيضًا؟ يسوع ما زال هو هو. ليس من مصلحة المسيح أن يرفض خاطئًا، وليس لمجده أن يدمّر إرادة باحث عن الحق؛ إنّما لمجده ولجلاله أن يقبل من يأتي بتواضع وانكسار ويرتاح أمام تضحية اللّه بابنه وحيده. ما الذي يردعك؟ يسوع يدعوك، فتعال. إن كنت بحاجة، تعال.

في المحاكم، أسمع أحيانًا عن من يسمّى شاهدًا، وما أن ينادى عليه، حتّى لو كان جالسًا في آخر المحكمة، تراه يشقّ طريقه إلى منصّة الشّهود. لا يقول أحد "من هو هذا الشّخص المتقدّم إلى الأمام؟"، وما

من أحد يسأله من هو، إذ أنّ جوابه سيكون ببساطة "هم قالوا اسمي".
"لكنّك لست غنيًّا؛ ولا تلبس خاتماً من الذّهب في إصبعك!" "لكنّهم دعوني لآتي" "لكنّك لست شخصاً ذا سمعة حسنة، أو مركز مرموق!" "كل هذا لا يهم، هم نادوني، دعوني أمر". فيا أيّتها المخاوف والهموم، ابتعدي؛ ويا شياطين البحيرة الأبديّة، ابتعدوا؛ إنّ يسوع يدعو الخطاة، فدعوني أمر. يا ايّها الخاطي، تعال. لا يوجد شيء أوصيك به، لأنّه مكتوب، "لأن كل من يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً"، فتعال إذاً، والرّب يسوع سيباركك، لأجل يسوع المسيح.

الفصل التّاسع: قد تشجع الباحثون- البديل

تكمن أهميّة وجوهر الدّين المسيحي في عقيدة "البديل"، ولا أتردّد أن أؤكد بأنّ نسبة كبيرة جداً من "المسيحيّين" ليسوا مسيحيين أبداً، إذ أنهم لا يفهمون جوهر مبادئ العقيدة المسيحيّة: ولسوء الحظ ،هناك رجال دين لا يعلّمونها، أو حتى لا يؤمنون بأهميتها. إذ يتكلّمون عن دم يسوع المسيح بطريقة غير واضحة، ويتحدّثون عن موت المسيح بأسلوب من الشعر، لكنّهم لا يبيّنون جليّاً، ولا يظهرون أنّ طريق الخلاص الوحيد هي حين أصبح المسيح بديلاً عن الإنسان الخاطئ. هذا سيجعلني أكثر وضوحاً وسهولة. الخطية هي أمر ملعون. ويجب أن يلعنها الله من خلال ضرورة قدسيته؛ يجب أن يعاقب الإنسان لارتكابها. لكنّ المسيح، الإبن المجيد للأب الأبدي، أصبح رجلاً وعانى في شخصه الحقيقي اللعنة التي كان الإنسان سببها، وذلك لكي، وبفضل عرض بديل من الله، يستطيع أن يوسّع رحمته المعطاة لأولئك الذين يؤمنون بالبديل.

لكنّك قد تسأل، كيف صار يسوع المسيح لعنة؟ والجواب هو "لقد جعل نفسه لعنةً". لم يكن نفسه لعنة. ففي شخصه لم يكن هناك أيّ عيب. لم يكن فيه أيّ إثم. الله "جعل الّذي لم يعرف خطيّة، خطيّة لأجلنا" (2كو 21:5). يجب ألاّ يكون هناك أبداً أي درجة من اللّوم أو التّوبيخ في شخص أو في طبيعة المسيح. فهو في هذا الإحترام من دون أيّ شائبة أو لطخة، وهو حمل الله الطّاهر المعد للفصح. لم يكن المسيح لعنة بدافع الضرورة . ولم يكن هناك ضرورةً لأن يعاني من هذه اللّعنة؛ إلاّ تلك التّي خلقها وعده المحبّ والخاصّ. فقدسيته الخاصة والجوهرية قد منعته من الخطية وتلك القدسية نفسها قد منعته من اللعنة. لقد جعل

خطية من أجلنا، ليس على حسابه الخاص، وليس لأيّ وجهة نظر لنفسه، لكنّه أحبّنا بشكلٍ كاملٍ واختار أن يضع نفسه في المكان الذي يجب أن نكون نحن فيه. وجُعل لعنة لأجلنا، ليس لأجل استحقاق شخصي أو ضرورة شخصية، لكن لأنّه اختبر طوعاً أن يكون رئيس العهد لشعبه وأن يكون ممثلهم ليحمل اللعنة التي حلّت بسببهم.

أريد أن أكون واضحاً جداً هنا، لأن تعابيراً قويةً جداً استخدمت من قبل أولئك الذين يحملون الحقيقة الكبيرة التي أسعى أن أعلّمها؛ تعابير قوية حملت الحقيقة التي قصدوا أن ينقلوها، لكن أيضاً أكثر بكثير. لقد قيّم مارتن لوثر رسالة بولس إلى "الغلاطيين" كثيراً، حتّى أنّه دعى أحد كتبه "كاترين فون بورا" (وهو اسم زوجته المحبوبة، وقد أعطى هذا الكتاب إسم أغلى شخص يعرفه). وفي كتابه عن تلك الرّسالة، كتب بوضوح، لكنّه أكّد أنّه لا يعني ما يكتبه حرفيّاً، "يسوع المسيح هو أعظم خاطئ عاش على سطح الأرض؛ فإنّ كلّ آثام البشر قد وضعت على المسيح وأصبح هو يمثّل كل اللّصوص والقتلة والزناة الذين عاشوا على الأرض." لكنّ ما عناه في هذا هو التّالي: لقد جعل اللّه ابنه يسوع كأنّه حامل كلّ الخطايا، وكأنّه نفسه يمثّل كلّ خطاة العالم؛ وهذه الحقيقة واضحة جداً. لكن لوثر وباعتباره قد استرسل وتطرّف في الكلام، عنّف رسمياً إذ اعتبر أنّه قد جدّف على شخص ربّنا المبارك. لكنّ يسوع لم ولن يكون يوماً خاطئاً؛ وهو لن يكون لا في شخصه ولا في شخصيّته إلاّ حبيب اللّه، ومبارك إلى الأبد وبهجة يهوه؛ وحين نقول اليوم أنّه لعن، فيجب أن نعطي أهمية لهذه الكلمات، "لقد جعل لعنةً"، وأيضاً يجب أن نشدّد على هذه الكلمات، "لأجلنا" – وليس على حسابه الخاص مطلقاً؛ لكن بحبّه لنا، بأن نكون مخلّصين؛ أخذ مكان الآثم وحسب خاطئاً، وجعل لعنةً لأجلنا.

كيف جعل يسوع المسيح لعنةً؟ في المركز الأوّل، هو قد جعل لعنةً لأن كل خطايا البشر قد ألقيت عليه. "جعله اللّه خطيّة لأجلنا"؛ ودعني أقتبس من "إشعياء"، "الرب وضع عليه إثم جميعنا" وأيضاً " وهو حمل آثامهم". لقد رفعت خطايا جميع النّاس عنهم وألقيت على المسيح،

واعتبرت هذه الخطايا كأن المسيح نفسه قد ارتكبها. لقد اعتبر يسوع خاطئًا، لكنّه في الحقيقة أخذ مكان الخاطئ. ومع وجود الخطيّة وجدت اللّعنة. يبحث النّاموس عن عقاب للخطيّة ويلعنها أينما وجدت، وهو قد وجدها ملقيّة على المسيح، وبذلك لعنت حينما كانت على االمسيح. وبالتّالي أصبح المسيح لعنة.

كلمات عجيبة وسيّئة، لكن يجب أن نقبلها، بكونها كلمات كتابية. ووجود الخطيّة على المسيح، جلبت اللّعنة عليه، ونتيجة لذلك، كان شعور ربّنا اشئمزازًا لا يوصف. وهو بالتّأكيد الشّعور الذي جعله ينذف قطرات الدّم عندما رأى اللّه يعامله كخاطئ. إنّ روح المسيح المقدسة تنفر بألم شديد من أقل إتصال مع الخطيّة. إنّ ربّنا نقيٌ ومثاليٌ، بحيث لم يخطر بباله أيّ فكر شرير، ولم يتلطّخ بأيّ لمحة شرّ، ورغم ذلك وقف أمام اللّه آثمًا ولذا كانت روحه تشعر باشمئزاز قويّ. وحينها ابتدأ بجعل نفسه لعنة لأجلنا، ولم ينته حتّى تحمّل كامل العقوبة التي كان من المفترض أن نتحمّلها نحن.

لقد اعتدنا أن نقسم العقوبة إلى قسمين، عقوبة الخسارة وعقوبة المعاناة الفعلية. وقد تحمّل المسيح كلتيهما. لقد كان على الخطاة أن يفقدوا إحسان اللّه وحضوره؟ ولذلك بكى يسوع قائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟". كان على الخطاة أن يفقدوا كلّ سلام وراحة شخصيّة؛ كان يسوع محرومًا من كلّ تعزية، فقد تمزّقت حتّى آخر قطعة من لباسه وترك على الصّليب، عاريًا ويائسًا كآدم. لقد كان من الضروري أن تفقد الرّوح كلّ شيء حتّى تقدر أن تتحمّل، فخسر يسوع كلّ ما يريح، ونظر فلم ير إنسانًا يشفق عليه أو يساعده؛ فصرخ قائلاً 'أمّا انا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشّعب." (مزمور 22:6). أمّا بالنّسبة للجزء الثّاني من العقاب، فقد كان هناك فعلاً ضربة من المعاناة قاساها إلهنا – تحمّل إلى النّهاية، كما يظهر الكتاب المقدّس. غالبًا ما تكون قد قرأت قصّة آلامه الجسديّة؛ فكن حذرًا بأن لا تقلّل من قيمتها أبدًا. لقد عانى مخلّصنا من الألم الجسدي بحيث لم يستطع بعد أن يتحمّل؛ إلاّ إن تثبّت وتقوّى باتّحاده بألوهيّته؛ رغم ذلك كانت آلام روحه

روح آلامه. فلقد تحمّلت تلك الرّوح عذاباً بمستوى الجحيم. إذ كان العقاب الذي سبّبه الأشرار هو من الجحيم، ومع ذلك لم يعاني المسيح من الجحيم بحدّ ذاته، بل عانى من شيء يوازي عذاب الجحيم؛ والآن، هل بإمكانكم تخيّل إلى ماذا أدّى هذا الأمر؟ لقد كان ألماً لا يوصف، ومعاناة غير مفهومة أبداً. وحده الله قد عرفه واختبره بالكامل. تعبّر الطّقوس اليونانيّة عن هذا، "لك آلام مجهولة"، إذ تبقى إلى الأبد إلى ما بعد خيال الإنسان.

وكانت النتائج بأنه قد فدى الجميع من لعنة الناموس. أولئك الّذين مات المسيح من أجلهم تحرّروا إلى الأبد من لعنة الناموس؛ إذ أنّه حين يأتي الناموس ليلعن إنسان سبق وآمن بالمسيح، تقول له، "ماذا يفترض أن أفعل بك، أيها الناموس؟" ويجيبك "سألعنك"، لكنّك تقول له "لقد لعنت المسيح بدلاً منّي. أبإمكانك أن تلعن مرّتين لإهانة واحدة؟" حينها ستُسكت النّاموس. إنّ ناموس الله، باستلامه كل ما كان قد طلبه، لا يملك الحقّ بأن يطلب أي شيء أكثر. فكل ما يمكن أن يطلبه الله من خاطئ مؤمن، قد دفعه المسيح عنه، وليس هناك صوت لا في الأرض ولا في السّماء يمكن أن تتّهم روحًا سبق وآمنت. لقد كنت مديونًا، لكن صديقًا دفع دينك عنك. إنّ عدم دفعك للحساب لا يهمّ، المهم هو أنّه دفع وأنت تملك الوصل؛ وإنّ هذا الأمر كافٍ أمـام أيّ محكمـة عادلـة. فقد تحمّل المسيح كلّ العقوبة التي كانت بسببنا نحن. وهذا صحيح أنّي لم أتحمّل العقاب؛ ولم أذهب إلى الجحيم ولم أتحمّل ذلك العقاب الإلهي، بل أنا غير مديون إذ دفع الله عنّي ديني وتحمّل هو العقاب والغضب الإلهي. وهذا أساسٌ مجيدٌ للإستناد عليه! هذه صخرة تلقى عليها أساس الرّاحة الأبديّة! دع شخصاً يصل إلى هذه الحقيقة؛ إنّ ربّنا وإلهنا قد بذل دمه عنّي ليكفلني، وعلى الصّليب قد سدّد ديني. لماذا إذاً يا إلهي لا أخاف بعد من رعدك. كيف تدينني الآن؟ لقد استنزفت رعدة غضبه؛ لقد وجهّت كلّ التّهم والإشارات إلى ربّنا، لكنّني صافٍ طاهر، مبرّر محرّر، وكأنّني لم أخطأ من قبل.

يقول الكتاب المقدّس بأنّ اللّٰه "قد خلّصنا". كنت أسمع في أغلب الأوقات من بعض أرستقراطيّي المدرسة الحديثة للتّكنولوجيا يسخرون من عمل الكفّارة، إذ هم يتّهموننا بأن كلّ هذا هو مجرّد صفقة عمل، أو ما يدعونه "وجهة نظر تجاريّة". لا أتردد في القول بأنّ هذا القول المجازي عن العمل التّجاري يظهر وجهة نظر اللّٰه للخلاص بشكلٍ صحيحٍ، إذ نجده هكذا في الكتاب المقدّس؛ إن الكفّارة هي فدية؛ وبمعنى الكلمة الأصلية فإنّ الكفّارة هي أكثر تعبيراً؛ إذ هي دفع البدل. لقد أنجز المسيح من خلال آلامه ما يمكن أن يوصف بالفدية المناسبة الفعّالة، أيّ إعطاء العدالة حقّها في حين كان علينا نحن أن نعاقب. لقد تحمّل يسوع ما كان علينا تحمّله. خطايانا هو حملها، وقف أمام اللّٰه كآثمٍ؛ مع أنّه هو لم يكن خاطئًا، لكنّه عوقب كمذنب ومات كآثمٍ على صليب اللعنة.

عليك فقط أن تؤمن بالمسيح لتحيا. فلا يهم من أنت أو ما تكون أو من أين، بالرغم من أنّك تستلقي على باب الجحيم المظلم لتيأس وتموت، تأتي هذه الرّسالة إليك: "لقد جعل اللّٰه المسيح كفّارة عن خطايانا. لأنّه جعل الّذي لم يعرف خطيّة، خطيّة لأجلنا، لنصير نحن برّ اللّٰه فيه." لقد حرّرنا المسيح من لعنة الناموس، إذ جعل لعنة من أجلنا. ومن يؤمن بهذا لن يلعن أبداً. ولربّما كان زانياً أو شاتماً أو سكّيراً أو قاتلاً؛ لكنه في اللحظة التي يؤمن فيها، لا يعود اللّٰه يرى أية خطيّةٍ فيه. بل يراه إنساناً بريئًا إذ ألقيت ذنوبه على المخلّص، وتلقّى يسوع العقاب عنه حين مات على الصليب. إن آمنت بالمسيح يسوع، حتّى ولو كنت بائساً وحقيراً وأكثر من يستحقّ اللّعنة على وجه الأرض، فلن يبقى لديك أيّة خطايا بعد إيمانك. لأنّ اللّٰه سينظر إليك كشخص طاهر؛ حتّى اللّٰه العالم بكل شي لن يجد فيك أيّة خطيّة، فخطاياك كلّها وضعت على كبش الفداء، وذهبت كلّها إلى النّسيان.

ضع جانبًا اعتمادك الكريه على نفسك وحبّك الأعمى لها؛ لقد أتمّ اللّٰه عمل الفداء، أنهاه تماماً. لا تقارن خرقك البالية بكتّانه النّظيف: لقد حمل المسيح اللّعنة؛ لا تحاول أن تعاقب نفسك بشكل جدير بالشّفقة، أو

تخلط دموعك القذرة بي‌نبوع دماء المسيح الثّمينة. تخلّ عمّا هو لك، وتعال خذ ما هو للمسيح. ضع جانبًا كل ما اعتقدت أن تعمله ليبعدك عن قبول المسيح؛ تواضع واقبل أن المسيح هو الألف والياء، الأول والأخير، البداية والنهاية لخلاصك. إن آمنت بهذا، تخلص، وقد خلصت الآن. استريحوا أيها التعابى، فإن خطاياكم قد غفرت؛ قم أيها الأعرج فإن إثمك قد غفر؛ قوموي من الأموات أيتها الذّات المهترئة كما قام لعازر من القبر، فإن يسوع يناديك! آمن به وعش.

الفصل العاشر: البحث

إن نيتي الحقيقية، التي من أجلها هيّأت روحي بكاملها، هي أن أتعامل مع هؤلاء الحزانى الباحثين عن المسيح، والّذين بحثوا عنه دون جدوى. إنّ هؤلاء الحزانى، المقتنعون بخطيتهم، الصّاحون والمتنبهون، ينتظرون لوقت طويل خارج أبواب الرّحمة، يرتجفون من البرد، ويتلهّفون إلى الدّخول، لكنّهم يرفضون أن يدخلوا من البّاب المفتوح على مصراعيه أمامهم. هم يرتجفون، خائفين من الدّخول عبر باب الرّحمة المفتوح، بالرغم من أن الحبّ اللامتناهي نفسه يصرخ لهم، "تعال، وأهلاً بك؛ ادخل وكن مباركًا". إنّه فعلاً لأمر عجيب ومفاجئ أن نجد في هذا

العالم، أناساً يملكون أغنى تعزية في متناول أيديهم، لكنّهم يرفضون بإصرار أخذها. يبدو هذا حقّاً أمر غير طبيعي، إذ لا توجد أيّ روح بائسة ترفض أن تحصل على الرّاحة. هل يرفض الثور علفه؟ هل يأكل الأسد لحمه، أو يحتقر النسر عشّه؟ إنّ رفض التعزية أمر غريب لأن الراحة الأكثر جدارة بالإعجاب هي في المتناول. يمكن أن تغفر الذّنوب؛ بل وقد غفرت؛ إذ أتمّ المسيح الكفّارة. إنّ اللّٰه يرغب بل هو مصمّم أن يقبل بلطف أيّ خاطئ يأتي إليه ويعترف بخطاياه، ويثق بدمّ المسيح يسوع. وهو ينتظر أن يكون شفوقاً، لا قساوة فيه ولا صرامة؛ بل هو مليء بالرّحمة؛ ويسرّ بمسامحة النّادم التّائب، وإعلان مجده بقبول من لا يستحقّ. هناك الكثير من الرّاحة في كلمة اللّٰه فإنّها تعلن عن نعمة غير محدودة كما أنّ الفضاء غير محدود. قد تبحث عن فهم حلاوة الحبّ الإلهي، لكنّك لا تستطيع، إذ أنّه يفوق المعرفة. إنّ جود اللّٰه العظيم ظهر جلّيًا في يسوع المسيح فهو مثل الفسحة الواسعة للمحيط. وهو لأمر عجيب أن يرفض الإنسان هذا الحب المعطى بسخاء.

يقال، أنّه قبل بضع سنوات، كانت هنالك سفينة تبحر على الساحل الشمالي للقارة الأمريكية الجنوبية وقد لوحظ أنّها كانت تطلق إشارات استغاثة. وعندما التقوا سفينة عابرة أخرى، أبلغوا عن أنفسهم أنهم "يموتون عطشاً!" فأجابوهم "اغطسوا في المياه، أنتم في مياه نهر الأمازون." لقد كانت المياه العذبة تحيط بهم، ولم يكن عليهم فعل أيّ شيء سوى أن يخرجوا منها حاجتهم من الماء، ومع ذلك فهم كانوا يلتهبون من العطش، إذ ظنّوا أنفسهم في مياه البحر المالحة. وكم من المرّات يجهل المرء الرّحمة المتوفّرة! وكم من أحزانٍ نواجهها بسبب نقص المعرفة!

لكن افترض، أنّه بعد أن استلم البحّارة المعلومات السّارة، استمرّ في رفض سحب المياه الوفيرة التي تملأ المكان من حولهم، ألن تكون هذه الأمور بمثابة أعجوبة؟ ألن تظنّ حالاً أنّ الجنون أصاب القبطان ومعاونيه؟ إنّ هذا هو النّوع من الجنون يصيب الكثيرين ممّن يسمعون

الإنجيل. إذ هم يعرفون أنّ هنالك رحمة ممنوحة للخطاة؛ وانّه إن لم يتدخّل الرّوح القدس فهم سيهلكون، ليس بسبب جهلهم، بل لأنّهم، لسبب أو لآخر، كاليهود القدماء، يحكمون على أنفسهم من الإنجيل، ويرفضون الرّاحة. إنّه لأمر لافت إذ أنّ الرّاحة المهيّأة آمنة جداً. وإذا كان هناك أيّة شكوك بأنّ راحة الإنجيل وهمية، وافتراضيّة تحطّم الرّوح، لانسحب النّاس كما يبتعدون عن كأس السّم. لكنّ كثيرين أرووا أنفسهم من ماء الحياة؛ ولم يتأذّ أحد، بل كل من شرب من الماء حصل على بركة أبديّة.

لماذا إذاً تتردّد الرّوح العطشانة، بينما النّهر واضحٌ كالبلّور يندفق عند قدميها؟ علاوة على ذلك، فإنّ عزاء الإنجيل مناسب جداً؛ ويتلاءم جداً مع الخطاة، والضّعفاء، والمنكسري القلوب، وإلى أولئك المنسحقين المحتاجين إلى الرّحمة، وإلى من هم أقلّ إدراكاً لحاجتهم منها على حدّ سواء. يحمل الإنجيل بلسماً يناسب الآثم في أسوأ حالاته، عندما لا يكون لديه أيّ شيء حسن فيه، ولا شيء داخله يدعو للأمل. ألم يعلن الإنجيل أنّ يسوع المسيح مات من أجل الأشرار؟ أليس هو قول مخلص ومستحقّ كلّ قبول، الاعتراف بأنّ يسوع المسيح جاء إلى هذا العالم ليخلّص الخطاة "الذّين أوّلهم أنا" كما يقول الرّسول؟ أليس الإنجيل معدّ حتى لأولئك الذين هم أموات في الذنوب والخطايا؟ ألا نقرأ هذه الآية، "اللّه، الذي هو غنيّ في الرحمة، من أجل محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح – بالنّعمة أنتم مخلّصون"؟ أليست دعوات الإنجيل، هي بحسب حكمنا، الألطف، والرق، والأرحم، والأكثر جاذبيّة التي يمكن أن تكتب وأن تتوجّه إلى أسوا حالة يمكن أن يكون فيها الخاطئ؟ أيّها العطاش جميعاً هلمّوا إلى المياه والّذي ليس له فضّة تعالوا اشتروا وكلوا هلمّوا اشتروا بلا فضّة وبلا ثمن خمراً ولبناً." (إشعياء 1:55). "ليترك الشّرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرّب فيرحمه وإلى الهنا لأنّه يكثر الغفران." (إشعياء 7:55). ليس هنالك صفات خاصّة تستعمل لوضع درجة من الطّيبة عند الشّخص المدعو، فالشرّير مدعوّ للحضور، والأثمة للإتّجاه إلى اللّه. إنّ هذه الدّعوة

تتعامل مع الأدنياء العراة الخطاة. فالنّعمة تبحث عن البؤساء، وعديمي الجدارة، والمذنبين، ولا شيء ما عدا ذلك. ليس بسبب صلاحنا، بل لأنّ الله رحيم، نحن علينا أن نثق برحمته اللامتناهية في المسيح يسوع ربّنا، وهكذا نحصل على السّلام. إنّه لغريب أنّه حيث التّعزية وافرة، والرّاحة متوافرة والأمان؛ وحيث القلب فرح، هنالك الآلاف من النّاس يرفضون أن يعيشوا بسلام.

تصبح هذه الحقيقة لافتة أكثر لأنّ هؤلاء الأشخاص يحتاجون كثيراً إلى الرّاحة، وممّا يقولون وأؤمن أيضاً أنّه ممّا يشعرون، قد تستنتج أنّ الرّاحة هي الشيء الأهم الذي يتشبّثون به، كرجلٍ غارقٍ يتمسّك بحبل النّجاة. لماذا لا ينامون اللّيل بطوله بسبب مخاوفهم. في النّهار، يعلو الحزن وجوههم، مثل البحر الصّاخب، يهيج داخلهم. وبالكاد يمكنهم أن ينطقوا بكلام سعيد. يملأون بيوتهم بالبؤس، وعدوى حزنهم تنتقل إلى آخرين. وقد تعتقد أنّه في اللّحظة الّتي هُمِسَت كلمة "أمل" في آذانهم، قفزوا نحوها حالاً؛ لكنّ هذا لا يحدث. قد تضع الإنجيل في الشّكل الذي يرضيك، ورغم ذلك فهذه الأرواح البائسة التي تحتاج إلى شفقتك، وأخاف أنّها تحت سؤوليّتك، ترفض أن تجد الرّاحة. مع أنّ الطّعام موضوع أمامهم، تمقت روحهم كلّ أنواع اللّحم، وهم يقتربون إلى أبواب الموت؛ في الحقيقة، أنت قد تضع العصير السماوي في أفواههم، لكنّهم لن يأخذوا الغذاء الرّوحي؛ ويبقون في جوع بدلاً من يأخذوا ما يزوّدهم به الحبّ الالهي.

عندما كانت الحمامة مرهقة، تذكّرت السفينة وطارت إلى يدّ نوح حالاً؛ كذلك هؤلاء النّاس هم مرهقون ويعرفون السفينة، لكنّهم لن يطيروا إليها. عندما يقتل إسرائيليّ عن غير قصد، كان قاتله يذهب إلى مدينة الملجأ خائفاً من الانتقام، هارباً إلى طريق الأمان. يعرف هؤلاء الخاطئون الملجأ، وكلّ سبت تحدّد معالم الطّريق، ولكن برغم هذا هم لا يريدون أن يجدوا الخلاص. الشاردون المعدمون في شوارع لندن يبتدعون مأواهم اللّيلي ويبحثون عن الملجأ؛ يتجمّعون عند مداخل منازلنا مثل العصافير تحت سقف البناية في يوم ممطر. هم يشتهون

السّكن وكسرة الخبز. رغم ذلك فإنّ حشود النّفوس الجاهلة، عندما يضيء بيت الرّحمة وتكتب الدّعوة بوضوح في رسائل واضحة، 'من يريد فليأت إلى هنا"، ترفض أن تأتي.

بالنّسبة إلى العديد من الخطاة، إنّ رفضهم الحصول على الرّاحة ناتج عن مرض جسدي وعقلي. فمن غير المجدي مجادلة من هم بحاجة إلى علاج طبّي أو حمية كبيرة بالحجج الدينيّة. هناك صلة قريبة بين عملي الطّبيب ورجل الدّين الذين يعملان على طرد الأوهام الإنسانية السقيمة؛ وأنا مقتنع بأنّ هناك العديد من الحالات التّي يكون فيها حضور القسّ من دون أهميّة حتّى ينهي الطّبيب أوّلاً عمله تماماً.

عند العديد من النّاس، يتكوّن الرّفض الفظيع جرّاء كراهيّة متعالية لخطّة الخلاص. هم سيحصلون على الرّاحة لكن أليس عليهم فعل شيء للحصول على الحياة الأبديّة؟ أليس عليهم أن يظهروا بعض المشاعر والعواطف؟ أليس عليهم أن يهيّئوا أنفسهم للسيد المسيح؟ هل الخلاص مقدّم مجاني بالتّمام؟ هل هم سيُقبلون في بيت الرّحمة كفقراء؟ أليس عليهم أن يأتوا ببكاء صارخين " ارحمني يا اللّه، أنا الخاطئ"؟ هل عليه أن يصل إلى هنا – أن يقف عرياناً أمام اللّه، مظهراً ما لديه من صلاح في الفكر والعمل؟ هل على الرأس أن يكون مريضاً، والقلب ضعيفاً، وأن يكذب الإنسان أمام يسوع المسيح ناكراً ما فعله واقترفه حتّى يحصل على كل ما يريد من يديّ المخلّص المصلوب؟ ثمّ يقول أنا لن أحصل عليه. إنّ راية النّفس يحملها حامل راية عملاق؛ وتبقى ترفرف حتّى بعد فترة طويلة من انتهاء المعركة. لكن ما هذا الغباء! لأجل الأبقاء على منزلة غبيّة خاصّة نحن لن نحصل على الرّاحة. تخلّ عن نفسك وعن منزلتك! أنا أرجوك، انحن عند قدميّ يسوع المسيح وقبّلهما إذ قد سمّرتا من أجل خطاياك.

لدى الآخرين إنّه ليس فخراً، بل إرادة غير مقدّسة للإحتفاظ ببعض الخطايا المفضّلة. في أكثر الحالات، حين يحاول قسّ شفاء جرحٍ نازف منذ وقت طويل، يُجري تحقيقاً دقيقاً متسائلاً لماذا لن يشفى الجرح. فبالنسبة له، تبدو كلّ الظّروف مؤاتية للشّفاء. وهو لا يستطيع أن يفهم

لماذا لا يزال النّزيف قائماً، لكنّه أخيراً وجد السّبب؛ "آه، إنّه هنا، هناك مادّة غريبة تهيّج الجرح بشكل مستمر؛ هو لا يستطيع أن يشفى بينما هذه الخطيّة تقبع داخله." اكتشفنا في بعض الحالات بأنّ الحزين ما زال منغمساً بالسّر في رذيلة ما، أو مبقياً على زمرة السّوء، أو غير طائع لوالديه، أو عديم الرحمة، أو كسول، أو لا يزال على ذلك الذّنب القبيح، أو السّكر بالسّر. في مثل هذه الحالة، إذا قرّر هذا الرّجل عدم التخلّي عن الخطيّة، فهل ستتسائل لماذا لا يملك الرّاحة؟ ألن يكون شيئاً مروّعاً لو كان كذلك؟ عندما يحمل رجل مادة صدئة داخل روحه، حتّى لو بدا أنّ جرحه التأم، فالمرض الدّاخلي سيقضي عليه. اعترف أمام يسوع المسيح، وهو سيغفر لك غباوتك وسيقبلك، حتّى لا ترفض أبداً أن تحصل على سلامه.

يرفض البعض الحصول على الرّاحة بسبب تصميمهم العنيد على إيجاد الرّاحة بطريقتهم الخاصّة. لقد قرأوا سيرة أحد الأشخاص الصّالحين الذي حصل على خلاصه من وراء تجربته الخاصّة. فيقولون "الآن، إن أحسست كما أحسّ ذلك الرّجل، أكون قد حصلت على الخلاص ". كثيرون عثروا على فرصة من النّعمة المتفاضلة، لكنّهم قالوا، "عليّ أن آتي كما أتى جون بنيون،وإلا فلن أؤمن." يقول آخر، 'يجب أن أمشي على الطّريق الّتي سار عليها جون نيوتن، وعلى أقدامي أن توضع في الآثار ذاتها حيث أقدامه مشت، وإلاّ فأنا لا أستطيع أن أؤمن بالسيّد المسيح.' لكن أيّ أسباب تملكها للتوقّع بأنّ اللّه سيمنحك، وأيّ تبرير لديك لتصف إلى الطّبيب الأعظم طرق علاجه؟ آه، إن أحضرني معه إلى السّماء، فسأباركه، حتّى ولو قادني عبر أبواب الجّحيم. إذا كنت قد أحضِرتُ لرؤية الملك في بهيئه، في أرض بعيدة جداً، فلن ينزعج قلبي من الطّريقة والتّجربة الّتي ستأخذني إلى هناك. تعال، واترك جانباً خياراتك الغبيّة، وقل، "ارحمني يا اللّه، علّمني أن أثق بابنك العزيز، وأن أتخلّص من نزواتي وميولي".

أنا أخشى أنّه لدى الكثيرين سبب آخر يدعوهم إلى رفض الحصول على الرّاحة، ألا وهو الشّك في محبّة الآب ولطفه وصدقه. هم لا يؤمنون أنّ

اللّٰه شفوق؛ بل يعتقدون أن اللّٰه مستبدّ، وإن لم يكن ذلك تماماً، فهو قاسٍ وصارم بحيث أنّ الخاطئ يحتاج أن يناشده ويرجوه لوقت طويل حتّى يستطيع أن يصل إلى قلبه. أه، ألا تعرفون إلهي! ما هو؟ إنّه إله المحبّة. إنّي أخبرك أنّه لا يريد أن تحثّه على منح الرّحمة، كما لا تحتاج الشّمس إلى من يقنعها بأن تشرق، ولا الينبوع بأن يصبّ خارج جداوله. إنّها من طبيعة اللّٰه أن يكون شفوقاً؛ إنّ صفاته الإلهيّة تظهر واضحة حين يمنح الرّحمة. "فالعقاب والدّينونة همإ من أغرب أفعاله"؛ يمسكهما في يده اليسرى؛ أمّا الرّحمة، ف‌في يده اليمنى. إنّه يُسَرّ بالرحمة. أليس مكتوباً أنّ اللّٰه يسرّ بال‌رّحمة؟ يا للأسف! إنّ اللّٰه يُفتَرى عليه من أولئك الذين يتكلّم إليهم بمودّة! "قل لهم. حيّ أنا يقول السيّد الرّب إنّي لا أسر بموت الشّرير بل بأن يرجع الشّرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرّديئة. فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل." (حزقيال 11:33) حتّى أنّه يبدو وكأنّه يتوسّل إلى مخلوقاته، ويناشدهم أن يأتوا إليه. هو يتوق إلى أن يخلّصهم صارخاً، "كيف أجعلك يا أفرايم. أصيّرك يا إسرائيل . كيف أجعلك كأدمة. أصنعك كصبوييم. قد انقلب عليّ قلبي. اضطرمت مراحمي جميعاً. لا أجري حموّ غضبي لا أعود أخرب أفرايم لأنّي اللّٰه لا إنسان القدّوس في وسطك فلا آتي بسخطٍ". (هوشع 11:8-9). آه لا، أنا أناشدك، لا تكن غير مؤمن فيما بعد، بل آمن بكلمة اللّٰه وقسمه، وأقبل الراحة التي تقدّمها لك مجّاناً كلمات الإنجيل!

لقد رفض البعض على أية حال الرّاحة طويلاً، حتّى اعتادوا على العيش باليأس. آه، إنّها عادة خطرة، إذ هم يرتعدون على حافّة الجحيم. في كلّ لحظة ينغمس فيها شخص ما، يتعوّد عليها. فتصبح مثل برودة المناطق الجليديّة، التّي تخدر المسافر بعد فترة، حتّى يفقد إحساسه ويسقط في سبات عميق يقوده إلى الموت. من النّاس من يعتاد على اليأس حتّى لو لم يكن هنالك سبب يدعو إلى اليأس. ويجلبهم اليأس إلى الجحيم. لقد حجّر اليأس قلوب بعض الأشخاص حتّى أصبحوا قادرين على ارتكاب الخطايا دون أمل بأن يرجعوا عنها. احذر من أن

تحتضن الكآبة التي يقودك إليها عدم إيمانك. آه، أبعده بعيداً إذا أمكن! اصرخ إلى الرّوح القدس، المعزّي، ليطلقك من فخ الصّياد؛ اعتمد عليه، وثق ، فإنّ الشّك شرك للشّيطان. مبارك من يهرب من شباكه. إنّ الإيمان بالله يقوّي الرّوح ويجلب لنا القداسة والسّعادة، لكنّ القلق، والشكّ، والظّنون والمخاوف جميعها تقسّي القلب وتجعلنا أقلّ اهتماماً بالمجيء إلى اللّه. احذر من اليأس، وليتك إذا سقطت أسيراً لعادة سيّئة، أن تُنتزع منها كالجمر من النّار المحرقة، تحرّر فإنّ إلهك يطلق الأسرى.

الفصل الحادي عشر: كيف بحث لوثر ووجد

ظلّ صوت لوثر مسموعاً في أذن النّاس على مرّ أربع مئة سنة، وقد سرّع نبضات قلوبنا مثل إيقاع الطبل في الموسيقى الحربية: لقد اختبر لوثر الحياة لأنّه كان رجل إيمان.

أودّ أن أوضّح هذا من خلال وصف بعض الحوادث التي حدثت في حياة لوثر. لقد أنار الإنجيل حياة المصلح. فقد كان في الدير حين، قرأ في العهد القديم هذه العبارة: "البّار بالإيمان يحيا". وظلّت هذه الآية السّماوية ترافقه؛ مع أنّه بالكاد فهم أهميّتها. لكنّه مع ذلك لم يجد السّلام لا في نشاطه الدّيني ولا من خلال ممارساته الرهبانيّة. إذ بقي يفرض على نفسه، بسبب معرفته المحدودة، الإماتات وأعمال التّكفير الثّقيلة؛ وقد جلب نفسه بذلك إلى باب الموت. فكان لا بدّ له من أن يسافر إلى روما، حيث هناك كنيسة قويّة وحديثة، وكان متأكّداً أنّه

سيحصل على البركات وعلى مغفرة الخطايا في تلك الأضرحة المقدّسة. وقد حلم بالدّخول إلى مدينة من القداسة، لكنّه وجد نفسه في وكر للخطيّة يكتظّ بالمرائين. وقد سمع النّاس يقولون أنّه لو كان هناك جحيم لكانت روما مبنيّة على قمته، لأنّها كانت الأقرب إليها من بين كل الأماكن في العالم. لكنّه بقي يؤمن بالبابا واستمرّ بأعمال الكفّارة ساعياً أن يجد الرّاحة، لكنّه لم يجدها.

وفي أحد الأيام، كان يصعد على ركبتيه أدراج "سكالا سانكتا" في روما. وقد كنت أقف أحياناً كثيرة، مندهشاً عند أسفل الدّرج وأرى أناساً ضعفاء يصعدون وينزلون على ركبهم معتقدين أنّه هذا هو الدّرج عينه الذي نزل عليه يسوع بعد زيارته إلى بيلاطس، وأنّ بعض الدّرجات ما زالت تحمل آثار قطرات من دم يسوع. وبينما كان لوثر يتسلّق زحفاً هذه الدّرجات في أحد الأيّام، تذكّر فجأة الآية التي قد سبق أن قرأها خلال إقامته بالدّير، "البار بالإيمان يحيا". حينها قام عن ركبتيه ووقف، ونزل من على تلك الدّرجات دون التّذلّل ثانية. وفي هذه اللّحظة التي خلّصه فيها الرّب يسوع من هذا المعتقد الخرافي، وعرف أنّ باستطاعته أن يعيش بعيداً عن الكهنة، وأعمال الكفّارة، أو أيّ عمل آخر؛ وأن ما عليه فعله هو أن يعيش فقط بحسب إيمانه.

ومنذ أن آمن بهذا، ابتدأ يحيا ويخدم بفعاليّة. وفي ذلك الوقت، كان هناك شخص يدعى تتزل، وكان يذهب في جميع أنحاء ألمانيا محاولاً بيع مغفرة الذنوب لمن يدفع نقداً بالمقابل. ومهما كان إثمك، فما أن تمسّ نقودك أسفل الصّندوق حتّى تختفي كلّ خطاياك. وما أن سمع لوثر بذلك، صرخ ساخطاً، "سأحدث ثقباً في صندوقه" وفي صناديق أخرى أيضاً؛ وقد فعل ذلك. إنّ إيقاف هذه المفاهيم على باب الكنيسة هي طريقة أكيدة لإسكات معزوفة الغفران هذه. لقد أعلن لوثر أن مغفرة الخطايا هي بالإيمان بالمسيح يسوع، لا بالمال ولا بأيّ كلفة أخرى، وقد أصبح الغفران الذي يمنحه البابا مدعاة للسخرية. لقد عاش لوثر بالإيمان، وهو الذي كان هادئاً، أصبح يواجه الخطيّة كما يزأر الأسد على

فريسته. إذ قد ملأه الإيمان بقوّة في حياته، ودخل في حرب شديدة مع العدوّ الذي هو الخطيّة.

بعد فترةٍ من الوقت، قاموا باستدعاء لوثر إلى أوغسبرغ، فذهب إلى هناك بالرّغم من نصيحة أصدقائه له بألاّ يذهب. لقد استدعوه للمثول أمامهم كهرطوقي، ليدافع عن نفسه أمام المجلس التّشريعي، وقد نصحوه بأن يبقى بعيداً، وإلا فسيكون الحرق مصيره؛ لكنّه شعر بأنّ الشّهادة يجب أن تنتشر، فذهب لوثر بالعربة من قرية إلى أخرى ومن بلدة إلى بلدة معلّماً النّاس الفقراء والضّعفاء الذين خرجوا ليصافحوه هو الذي كان يدافع عن المسيح وعن الإنجيل واضعاً حياته تحت الخطر.

قد تتذكّر كيف وقف لوثر أمام مجمع أغسطس، وبالرّغم من إدراكه أنّه مهما كبرت قوّة الإنسان، فإنّ دفاعه قد يكلّفه حياته وأنّه قد يعرّض نفسه للنّار كجون هوس، لكنّه تقدّم أمامهم متوكّلاً على الرّب إلهه. وفي ذلك اليوم وأمام المجمع التّشريعي الألماني، قام لوثر بعملٍ كان بركة للآلاف به تمجّد اسم الرّب الهه أكثر فأكثر.

وبهدف إبقائه بأمان لفترةٍ من الوقت، قام صديقٌ له بإبعاده عن النّزاع وأخذه سجيناً إلى قلعة وارتبرغ. وقد قضى لوثر هناك وقتاً جميلاً، يرتاح ويدرس ويترجم ويلحّن محضّراً نفسه لمستقبلٍ شعر بأنّه سيكون حافلاً بالأحداث. لقد عمل كل ما يمكن لرجل خارج أيّ نزاع أن يعمل؛ لكنّ "البار بالإيمان يحيا" ولم يكن من السّهل على لوثر أن يدفن نفسه حيّاً، إذ كان ملتزماً بمواصلة عمل حياته.

فأرسل رسالةً إلى أصدقائه يقول فيها أنّه سيكون قريباً معهم، ومن ثمّ ظهر في ويتينبرغ. لقد أراد الأمير أن يبقيه متقاعداً لمدّة أطول؛ لكنّه خاف ألاّ يستطيع أن يحميه، حينها كتب لوثر: "لقد وقعت تحت حماية أقوى من حمايتك، وإنّي - على الأرجح - أحمي سموّك أكثر ممّا كان سموّك يحميني. فمن لديه أقوى إيمان، يملك حتماً أفضل حماية". لقد تعلّم لوثر أن يكون مستقلاً عن كلّ النّاس، إذ كان يلقي بنفسه على إلهه. وكان يعلم بأنّ كلّ العالم ضده، ومع ذلك بقي سعيداً – وحتّى لو فصله البابا، فقد أحرق المرسوم القاضي بالفصل؛ وإذا هدّده

الإمبراطور كان يبتهج متذكّرًا كلمة الرّب التي تقول: "قام ملوك الأرض وتآمر الرّؤساء معًا على الرّب وعلى مسيحه ..... السّاكن في السّموات يضحك .... " (مزمور2:2،4). وحين كانوا يقولون له "أين ستجد الأمان إن لم يحمك سموّه؟" فيجيبهم قائلاً "تحت ترس اللّٰه".

لم يتمكن لوثر أن يبقى هادئًا، إذ كان لا بدّ له أن يتكلّم، ويكتب، ويتوعّد؛ وكان يكلّمهم بثقة كبيرة جدًّا. وكان مشمئزًّا من شكوك الكلّ حول اللّٰه والكتاب المقدّس. يقول ميلانغتون بأنّ لوثر لم يكن دوغماتي، لكنّني أختلف عن ميلانغتون بشأن هذا، إذ أحسب لوثر رئيس الدوغماتية. لقد دعي ميلانغتون ب"التابع الهادئ"، وأنا أتساءل ما كانت ستكون عليه حالتنا لو كان لوثر كميلانغتون أيضًا. لقد احتاجت تلك الأوقات إلى قائد صارم وثابت، وقد هيّأ الإيمان لوثر لسنوات عديدة، مقاومًا كلّ أحزانه وعجزه. لقد كان رجلاً عملاقًا ذا مقدرة عقلية عظيمة وبنية جسديّة قويّة: وكانت حياته الأساسيّة مبنيّة ومرتكزة على الإيمان. كان لوثر يعاني كثيرًا من أمراض جسديّة ظهرت كعلامة ضعف، لكنّ هذا الضعف لم يظهر؛ لإنّه حينما آمن، كان متأكدًا من إيمانه ومن غاية وجوده، ما جعله يبدو دائمًا قويًّا. ولو مرّ أمامه كلّ ملاك من ملائكة السّماء ليؤكّد له حقيقة الهه، فما كان سيشكرهم على شهادتهم، لأنّه آمن بالله بدون شهادة ملائكة ولا بشر. وكان على ثقة بأنّ كلّ كلام الكتاب المقدّس هو أضمن من كلّ أقوال السّرافيم والبشر.

لقد أجبر هذا الرّجل على العيش بإيمانه، فهو كان رجلاً ذا روح عاصفة وكان الإيمان هو الأمر الوحيد الذي يمكن أن يجلب له السّلام. وكان ذلك الحماس المفعم بالحياة قد جلب له في ما بعد كآبة رهيبة في الرّوح، ما دفعه أن يحتاج إلى الإيمان بالله. وإن كنت قد قرأت نموذجًا عن حياته الرّوحية فستجد لحظات من العمل الشّاق أحيانًا محاولاً إبقاء روحه حيّة. وكونه رجلاً ذا عواطف مثل عواطفنا مليئة بالنواقص، فهو حتمًا كان يائسًا أحيانًا كالأضعف بيننا وقد هدّد تزايد الحزن قلبه القوي. لكن كلا من لوثر وجون كالفين كان يتطلّع إلى الرّاحة في السّماء، إذ لم يحبّ النّزاع الذي عاش فيه، لكنّه كان مسرورًا ويشعر بالسّلام في

اهتمامه بقطيع الله على الأرض. لقد سكن هؤلاء الرّجال مع الله في صراحة مقدّسة مصلّين بإيمان.

لقد تمسّك إيمان لوثر بصليب ربّنا، ولن يتزعزع عنه. لقد آمن بمغفرة الذنوب والخطايا، ولم يشكّ بهذا الأمر أبداً. وأرسى لوثر مرساته على الكتاب المقدس، ورفض كل كلام رجال الدّين الملفّق وتقاليد الآباء. كان مطمئناً من حقيقة الإنجيل، ولم يشكّ يوماً بأنّه سينتشر ويعم، حتّى لو وقفت الأرض والجحيم ضده. وعندما اقترب لوثر من الموت، هاجمه عدوّه القديم بعنف، لكن عندما سألوه إذا كان يملك الإيمان نفسه، كانت ال"نعم" إيجابيّة بما فيه الكفاية. ولم يكن من الضروري حتّى أن يسألوه، إذ كان يجب أن يكونوا متأكدين من ذلك. وأمّا الآن، فإنّ الحقيقة التي أعلنها لوثر ما زالت تردّد على مسامع النّاس، وتستمر الكرازة بها حتّى مجيء ربّنا. ولن تحتاج المدينة المقدّسة أيّ شمعة، ولا ضوء الشمس، لأن الرّب نفسه سيكون نوراً لشعبه، وحتّى نحن يجب أن نشرق بالضوء الإلهي إلى أقصى حد.

الفصل الثّاني عشر: إخلص من خلال إيمانك

لطالما كانت طريق الخلاص هي نفسها. ما من أحد قدر أن يخلّص نفسه من خلال أعماله الصّالحة. الطّريقة التي يعيش بها الرّجل المستقيم لطالما كانت طريق الإيمان. ولم يكن هناك أيّ تغيير بسيط

على هذه الحقيقة؛ إنّها موجودة وثابتة، هي دائماً نفسها، مثل اللّه الذي نطق بها. في كل الأوقات، وفي كل مكان، الإنجيل هو نفسه وسيبقى كما إلى الأبد. لن يتغيّر. "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب8:13). إنّ ما نقبله هو إنجيل واحد؛ لا إثنان ولا ثلاثة. السماء والأرض تزولان، لكنّ كلام يسوع لا يزول.

من الواضح أيضاً ليس فقط أنّ هذه الحقيقة يجب أن تستمر من دون أن تتغيّر، ولكن يجب أن تمتلك أيضاً بعض الحيوية. إنّ هذه العبارة،" الشخص المستقيم عليه أن يعيش في ظلّ كابوس إيمانه"، تخلق هذا التحسين. بعيداً عن هذا، ومع فتح أحد أختام سفر الرّؤيا، ظهرت كلّ أصوات القيثارات، والتّرانيم، تشبه صوت مياه كثيرة. هذه البذرة، المنسية والمتروكة بعيداً في العصور الوسطى المظلمة، ظهرت، وسقطت داخل قلب الإنسان، وتركت لينميها روح اللّه حتّى تأتي بثمار كثيرة. إنّ أيّ جزء ولو صغيراً جداً من الحقيقة، وإن رمي في أي مكان، سيحيا! بعض النباتات تتميّز بكونها مليئة بالحيوية، حتّى لو أخذت جزءاً صغيراً من اوراقه ووضعته في الأرض، ستكون الورقة قادرة أن تتجذّر وتنمو. لذا من المستحيل أن ينقرض هذا النّوع من النّباتات؛ وهذه هي الحالة مع حقيقة اللّه – إنّها حيّة وغير قابلة للفساد، كما لا يمكن أن تحطّم. طالما أنّ كتاباً مقدّساً واحداً قد بقي، ستبقى ديانة النّعمة المجّانيّة؛ إذ في الحقيقة، ولو استطاعوا أن يحرقوا كلّ الكتب المقدّسة المطبوعة، طالما أنّ هناك طفل يتذكّر نصّاً وحيداً من الكلمة، فإنّ الحقيقة سترتفع ثانية. وحتى لو كانت النّار ما زالت في رماد الحقيقة، عندما ينفخ السيّد المسيح نفساً فيها، تشتعل ثانية بلهبٍ مجيد.

لقد أخبرنا العهد القديم عن ابراهيم قائلاً "فآمن بالرّب فحسبه له براً" (تكوين 6:15). هذه هي الخطّة للتّبرير. يكمن الإيمان المسيحي في استقامة وصلاح اللّه، فمع قبول خطة اللّه لخلاص الخاطئ وتبريره من خلال ذبيحة السيد المسيح، ويصبح الخاطئ باراً. يقبل الإيمان ويخصّص لذاته كامل البرّ الإلهي الذي يتجلّى في شخص وعمل السيّد المسيح. وبسرّ برؤية اللّه آتياً إلى عالمنا بطبيعتنا، هذه الطّبيعة

التي تخضع للنّاموس بكلّ عناوينه وبكلّ ذرّة فيه، لكن مع ذلك هو لم يكن تحت النّاموس إلاّ حين اختار طوعاً أن يضع نفسه تحته لمصلحتنا؛ ويسرّ الإيمان أكثر حين يرى السيّد المسيح، الذي جاء تحت النّاموس، يقدّم نفسه كفّارة ويجعل نفسه تبريراً كاملاً للعدالة الإلهيّة من خلال آلامه وموته.

يعتمد الإيمان على شخص المسيح وحياته وموته، إذ أنّ برّ المسيح هو أمله الوحيد. وهو يصرخ " تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا". إنّ من يؤمن بطريقة الله في جعل تبرير البشر من خلال استقامة وبرّ يسوع المسيح، والذي يقبل يسوع المسيح ويستند عليه هو شخص بار. فالبار، بنظر الله نفسه، هو من يعتمد ويثق بعمل الكفّارة. ويحسب له إيمانه برًّا، إذ قد أدرك برّ الله من خلال ابنه، يسوع المسيح. "وبهذا يتبرّر كلّ من يؤمن من كلّ ما لم تقدروا أن تتبرّروا منه بناموس موسى" (أعمال الرّسل 39:13). هذه هي شهادة كلمة الوحي، ومن سينكرها؟

لكنّ المؤمن هو أيضاً بار من جهة أخرى، من جهة يقدّرها العالم الخارجي أكثر، لكن ليس كما يقدّر الخالق. إنّ من يؤمن بالله يصبح من خلال إيمانه قادراً أن يتّجه نحو كلّ شيء جيّد وصحيح وصادق؛ فإيمانه بالله يصحّح له آراءه ويجعله باراً. في حكمه، ورغباته، وتطلّعاته، وقلبه، هو دائماً بار. لقد غفرت له خطاياه مجاناً، وهو الآن في وقت التّجربة، يقف صارخاً "كيف أصنع هذا الشّر العظيم وأخطئ إلى الله". هو يؤمن بفعاليّة الدّم ولا يختار أن يدنّس نفسه ثانية.

إنّ محبّة يسوع تجبره أن يبحث عن كل ما هو صالح وشريف بنظر الله. فهو يجاهد للعيش كابن لله، بعد أن نال بالإيمان امتياز التّبني. وهو يسير في جدّة الحياة، بعد أن حصل بالإيمان على حياة جديدة. "إنّ مبادئ الله الخالدة تمنع ابن الله من ارتكاب الخطيّة." إن عاش شخص ما في الخطيّة وقبل بذلك، إذاً هو لا يملك الإيمان؛ فالإيمان الحقيقي ينقّي الروح. إنّ إيماننا الذي هو عمل الرّوح القدس، هو أعظم قاتل للخطايا تحت السماء. فبنعمة الله، هو يؤثّر على عمق القلب، ويغيّر الرّغبات والعواطف، ويجعل من الإنسان خليقة جديدة في المسيح

يسوع. إن كان هناك على وجه الأرض إنسان من الممكن أن يقال عنه بالحقّ أنّه بار، فهو من يملك الإيمان بالله من خلال سيّدنا يسوع المسيح. في الحقيقة، لا يوجد هناك "أبرار" إلاّ أولئك الّذين أعطاهم الرّوح القدس هذه الصّفة، وهؤلاء يعيشون بالإيمان. فالإيمان هو الثّقة بالله، وبالتّالي محبّته وإطاعته، والنّمو به. إنّه أساس القداسة، وينبوع الحقّ، وحياة البر.

اللّٰه هو حق بحيث لا مجال للشّك في عدالته: ومن يحسب أنّ اللّٰه غير عادل فهو ليس ببار. فيجب على البار أولاً أن يكون باراً مع الخالق. إذ من التّفاهة أن يكون الإنسان باراً أمام المخلوقات الأخرى، في الوقت الذي هو ليس كذلك أمام اللّٰه. ففي الحقيقة، هو غير جدير بأن يُنسَب إليه البرّ. والإيمان به هو ما يستحقّ اللّٰه أن يحصل عليه من قبل مخلوقاته: فمن حقّه أن نؤمن بما يقوله، وبكل ما هو مكتوب بالإنجيل. حين تظهر بوضوح محبّة اللّٰه العظيمة في يسوع المسيح، سيؤمن بها أنقياء القلوب. وإن كانت محبّة المسيح بموته عنّا مفهومة جداً، فحينها يجب أن يؤمن بها كل ذهن صادق. إنّ الشّك بشهادة اللّٰه المتعلّقة بابنه هو عمل مظلم ينتقص من حبّ اللّٰه اللا متناهي. إنّ من لا يؤمن فقد رفض شهادة اللّٰه عن عطيّته التي لا توصف، كما قد رفض من يستحق الامتنان الكبير، إذ هو وحده يمكنه أن يرضي عدالة اللّٰه ويعطي ضمير الإنسان السّلام. على البار الحقيقي، يكون باراً بالتّمام، أن يؤمن بالله وبكل ما يعلنه اللّٰه.

يحلم البعض بأنّ مسألة العدالة تتعلّق بالحياة الخارجية فقط، ولا تمسّ إعتقادات البشر. لكنّي أقول أنّ الأمر ليس كذلك؛ فالإستقامة تتعلّق بحياة المرء الباطنيّة، وبطبيعته الإنسانيّة العميقة؛ والإنسان البار هو من يرغب بأن يكون نظيفاً حتّى في أموره السّرية وحكيماً في أموره الخفيّة. أليس هذا هو الحال؟ نسمع مراراً وتكراراً أنّ الفهم والإيمان يشكّلان دائرة معفيّة من سلطان اللّٰه. هل عليّ بالحقيقة أن أؤمن؟ لا يوجد هناك أيّ جزء من طبيعتنا البشريّة بعيداً عن القوانين الإلهيّة. إنّ قدرتنا الكاملة كبشرٍ هي تحت سيادة من خلقنا، ونحن مصمّمون على

الإيمان بشكل صحيح؛ في الحقيقة، أعمالنا وأفكارنا تتشابكان بحيث من المستحيل أن يُفصَل واحد عن الآخر. إن قلنا أنّ استقامتنا في الحياة الخارجية تكفينا، فهذا يناقض تماماً فحوى كلام الله. إذ عليّ أن أخدم الله من كلّ فكري كما من كلّ قلبي. وعليّ أن أؤمن بكل ما يكشفه الله لنا كما أؤمن بكل ما يأمر به.

'البار بالإيمان يحيا'. تعلو هذه الجملة الباب الضيّق الذي يقف عند رأس الطّريق – الطّريق الضيّق الذي يؤدّي إلى الحياة الأبديّة. إنّ أفضل النّاس في العالم هم من يعيشون بالإيمان؛ إذ ليس هناك طريقة أخرى للعيش في البر في نظر الله. لا يمكننا أن نحيا باستقامة من تلقاء ذاتنا. إن كنّا سنثق بأنفسنا، أو بأيّ شيء يأتي منّا، فنحن لم نتعلّم شيئاً من حياة يسوع التي نعرفها من خلال الأسفار المقدّسة. يجب أن نتخلّى عن كل ثقة تملكها بنفسك أو تأمل بامتلاكها. أنت يجب أن تمزّق عنك كلّ هذا الكساء الجذامي من الاستقامة الذّاتيّة، وأن تتخلّى عن جزء منك بأي شكل. إنّ الإعتماد على الذات لفهم الأمور الدّينيّة هو بمثابة تدمير للنّفس؛ فعليك أن تعتمد على الله الذي كشف عن نفسه من خلال ابنه يسوع المسيح.

"البّار بالإيمان يحيا"؛ أمّا أولئك الذين يتّكلون على أعمال النّاموس هم تحت اللّعنة، ولا يمكنهم أن يحيوا أمام الله. وهذا صحيح بالنّسبة إلى الذّين يحاولون العيش بحسب المشاعر والأحاسيس. هم يحكمون على الله وفقاً لما يرونه: فإن كان سخيّاً عليهم بعنايته الإلهيّة، فهو إله جيّد؛ لكنّهم إن كانوا فقراء، فهم لا يملكون شيئاً جيّداً ليقولوه عنه، فهم يقيسون كلّ شيء بحسب ما يشعرون به، وما يرونه. إذا كان الله يعمل تدريجياً على هدف، وإن تمكّنوا من أن يروا غرضه، فهم حينها يمدحون حكمته؛ لكنّهم إذا لم يستطيعوا رؤية الغرض، أو فهم الطّريقة التي يعمل فيها الله، فهم فوراً يحكمون بأنّه إله غير حكيم. إنّ العيش وفقاً لما نحسّ أو نشعر به ينتهي بأن يصبح نمط الحياة خالياً من المشاعر، لا بل يجلب الموت إلى كلّ أشكال الرّاحة والأمل.

كثيرون يقولون " أنا دليل نفسي، وأصنع مبادئي بمفردي، أشكّلهم طبقاً لرغباتي وإرادتي الخاصّة"، لكنّ هذا الفكر ينم عن موت روحي. أن تكون متمشياً مع الوقت هو أن تكون عدواً لله. لأنّ طريق الحياة هي الطّريق التي تؤمن خلالها بما يعلّمه اللّه لك، خصوصاً أن تؤمن به، هو الذي جعل نفسه فدية عن خطاياك؛ جاعلاً اللّه بالتّالي كل ما في حياتك، ونفسك كلا شيء. إنّ راحتنا على كلمة اللّه الموحى بها وثقتنا بالمخلّص القدير، يمنحنا السّلام والرّاحة؛ أمّا من جهة المبدأ المتقلّب فنحن نصبح نجوماً تائهة، محفوظ لها قتام الظّلام إلى الأبد. بالإيمان، يمكن أن تحيا الرّوح؛ أمّا في كلّ الطرق الأخرى فحياتنا تكون شكليّة لا مضمون لها.

غالبًا ما نصادف أديان غريبة ووهميّة فيها يثق النّاس بحماس، ويثقون بالأحلام، والضّوضاء والأمور الخفيّة الغامضة التي يتخيّلون أنّهم رأوها: لكنّ هذا كلّه هراء وكلام فارغ، ومع ذلك فهم يتقيّدون بها تماماً. أصلّي أنّ تبطل هذه الأمور التّافهة، إذ ليس فيها أيّ غذاء للروح. إنّ حياتي لا تكمن بما أعتقد، أو أحبّ وأرغب، أو ما أتخيّله، أو ما أستمتع به، لكن فقط فيما يدركه إيماننا على أنّه كلمة اللّه. نعيش أمام اللّه واثقين بوعده، معتمدين على شخصه، قابلين ذبيحته، متقلّدين بالحق، ومسلّمين أنفسنا إلى اللّه الآب، وابنه والرّوح القدس. إنّ ثقتنا المطلقة بيسوع ربّنا هي طريق الحياة، بينما تؤدّي كلّ الطّرق الأخرى إلى الموت. دع أولئك الذين يشكّكون في رسالة الإنجيل. إنّ هذه الرّسالة أمر واقع.

هنالك الكثير من الأمور التي نستطيع أن نفهمها من القول أنّ " البّار بالإيمان يحيا". فهو لا يقول أيّ جزء من حياته يعتمد على هذا الإعتقاد، ولا يقول إنّ أيّة مرحلة من حياته تثبت إيمانه بشكل أفضل: إذ يبدأ الأمر بالفهم، فالإستمرار، فالنّمو، فإتقان الحياة الروحية وهذه جميعها بالإيمان. في اللّحظة التي يؤمن بها الشّخص، يبدأ بالعيش على مرأى من اللّه: وهو الآن يثق بإلهه. هو يقبل وحي اللّه عن نفسه، يأتمنه على أسراره، يستريح ويستند إلى منقذه، ويصبح حينها رجلاً حيّاً روحياً،

يعتني بالحياة الروحية. وكلّ وجوده قبل إيمانه هذا كان شكلاً من أشكال الموت: لكنّه حين وثق بالله، دخل الحياة الأبديّة، وولد من فوق. نعم، لكن ليس هذا هو كلّ شيء، ولا حتّى النّصف؛ لأنّه لو كان على ذلك الشّخص أن يستمرّ بالعيش أمام اللّه، وأن يقاد في طريق القداسة، فإنّ مثابرته تأتي نتيجة لإيمان مستمر. إنّه الإيمان الذي يخلّص ليس فعل يوم واحد وينتهي في يوم آخر: بل هو عمل مستمر وباق طيلة أيّام حياة ذلك الإنسان. البّار لا يحيا بالإيمان فقط ببداية إيمانه، بل يستمر في عيشه بإيمان: لا يبدأ بالرّوح وينتهي بطبيعته البشريّة، ولا يذهب بعيداً بالنّعمة ويكمل طريقه بأعمال النّاموس. في سفر العبرانيين، يقول الكتاب "أمّا البّار فبالإيمان يحيا وإن ارتدّ لا تسرّ به نفسي. أمّا نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الإيمان لاقتناء النّفس." (عبرانيين 10:38-39). الإيمان أمر مهمّ دائماً، في كلّ يوم وطوال اليوم، وفي كلّ الأمور. تبدأ حياتنا الطّبيعيّة بأخذ نفسٍ، وتستمر بالتّنفس: وكما هو النّفس للجسد، هكذا الإيمان للرّوح.

الفصل الثالث عشر: هل أستطيع أن أؤمن؟

أنت تعلم من هو يسوع، وأنت تؤمن أنّه هو ابن اللّه، وهو مخلّص البشر. أنت تثق أنّه قادر أن يخلّص إلى التّمام من يتقدّم به إلى اللّه. أنت لا تملك أي شكٍ حول الحقائق الأبديّة التي تشمل ألوهيّته، وولادته، وحياته، وموته، وقيامته و مجيئه الثاني. إنّ شكّك كامن فيك شخصيًّا – "هل أنا أملك جزءاً من هذا الخلاص!". أنت تدرك تماماً أنّ الإيمان بيسوع ممكن أن يخلّص أيًّا كان – وأن يخلّصك أنت إن آمنت. كما أنّك لا تشكّ بمبدأ التبرير بالإيمان. لقد تعلّمته، وتقبّلته كمسألة لا تحتمل النّقاش، أنّ من يؤمن بالله فله الحياة الأبديّة، ومن يأتي إليه

يحصل عليها؛ وتعلم أنّ من يُقبل إلى المسيح لا يخرجه خارجًا أبدًا. أنت تعلم العلاج وتؤمن بفعاليّته؛ ثمّ يأتي الشّك – هل أستطيع أن أشفى بواسطته؟ خلف اعتقاداتك وإيمانك، يأتيك فكر كئيب: هل أستطيع أن أؤمن؟ أأستطيع ان أثق؟ أنا أرى الباب مفتوحًا وكثيرون يدخلونه. فهل أستطيع؟ أرى أنّ هناك تطهيرًا لأسوأ الخطايا في ذلك الينبوع وكثيرون يغتسلون. فهل لي أن أغتسل وأطهر؟ من دون أيّ شك، يأتيك هذا الفكر بكلّ الطّرق ليسرق منك راحتك لا بل كلّ آمالك. وعندما يعظك شخص ما، تبدو وكأنّك أمام مائدة مجهّزة بكلّ أنواع الطّعام، لكنّك تنظر إليها وأنت تشعر أنّ ليس لديك الحقّ في الجلوس والمباشرة بالأكل. إنّ هذا الأمر وهم بشع ومسكين، وستكون نتيجته مميتة مثل وحش ضارٍ يفترسك ما لم تتحرّر منه. فعندما ترى السّواقي تتدفّق بجداولها الفوّارة وأنت عطشان، هل تعتقد بأنّه غير مسموح لك أن تشرب؟ إن كان هذا ما تظنّه، فلا بدّ أنّك فقدت صوابك إذ أنت تتكلّم وتفكّر كشخصٍ لا حجّة له. وكثيرون هم في مثل حالتك روحيًّا. إنّ هذا الشّك في حرّيتك بالمجيء إلى المسيح يسوع هو عمل فاشل، إذ يفسد ما تقرأه، وما تدركه أو تسمعه ويفسد محاولاتك للصّلاة، كما أنّك لن تحصل على أيّة راحة ما دمت لا تملك إجابة في قلبك على هذا السّؤال ""هل أستطيع؟

أتحدّاك، إن قرأت العهد القديم والعهد الجديد، أن تجد آية واحدة يقول فيها الله أنّه لا يمكنك أن تأتي وتضع ثقتك في المسيح. قد تجيب بأنّك لا تتوقّع أن تجد هذا في الكتاب المقدّس، ولكنّ الله قد قالها في مكان آخر ولم يتم تسجيله. إذ يقول، "لم أتكلّم بالخفاء في مكان من الأرض مظلمٍ. لم أقل لنسل يعقوب باطلاً اطلبوني. أنا الرّب متكلّم بالصّدق مخبرٌ بالإستقامة" (إشعياء19:45). سأعود ثانية إلى الكلام الّذي قلته: لا شيء في الكتاب المقدّس يمنعك من المجيء ووضع نفسك أمام المسيح. إذ أنّه مكتوب، "ومن يرد فليأخذ ما حياة مجانًا." (رؤيا17:22). أولا يتضمّنك أنت؟ إذ مكتوب أيضًا، "لأنّ كل من يدعو باسم الرّب يخلص" (رومية13:10). أولا يشملك هذا؟ بل إنّه يشملك ويدعوك

ويشجّعك. هل هناك أيّ مكان في كلمة اللّه قد ذكر بأنّك إن أتيت إليه ستطرد خارجًا، أو أنّ يسوع المسيح لن يزيل عنك حمل الخطايا إن كنت قد أتيت إيه واضعًا إيّاه عند قدميه.

هنالك ألف مقطع في الكتاب المقدّس يرحّب بك، ولا يوجد أيّ مقطع يحمل في داخله سيفًا يبقيك بعيدًا عن شجرة الحياة. إنّ أبانا السّماوي قد وضع ملائكته على باب بيته ليرحّبوا بكلّ من يريد الدّخول؛ وليس هنالك أيّ كلاب لتنبح بوجه الشّحاذين الفقراء، ولا أيّ لافتات تحذّر من المرور. فقط تعال على الرّحب والسّعة.

ألا تعتقد أنّ طبيعة الرّب يسوع المسيح ذاتها يجب أن تمنع شكوكك حول إن كان مسموح لك أن تأتي وتمسّ هدب ثوبه؟ بالتّأكيد إن صوّر أحد ربّنا يسوع المسيح كناسكٍ يرفض بفخرٍ متعالٍ المتواضعين؛ وإن ظنّ أحد أنّ يسوع متطلّب جدًا وبأنّه لا يقبل المذنبين كما هم، بل يشترط عليهم الشّروط الكثيرة وبأنّ يسوع لا يقبل إلاّ من كانوا مثله، أي الصالحين الصّادقين؛ فهذا سيكون حتمًا أمرًا ليس بصحيح بل العكس تمامًا هو الصّحيح. قد واجه يسوع الاتّهام ب"أنّه كان يقبل خطاة، ويأكل معهم" عندما كان على الأرض بيننا؛ لكنّ ما قد تنبّأ عنه النّبي كان صحيحًا "قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ." (إشعياء42:3).

إنّ الأطفال الصّغار يملكون شخصيّة قادرة على إصدار أحكامٍ بطريقة رائعة؛ ويعرفون الأشخاص اللّطفاء بحدسهم. فهم لا يحلّلون كثيرًا، لكنّهم يميّزون بسرعة ويصلون إلى نتيجة سريعة حيال الشّخص أمامهم. لقد أتى الأطفال إلى يسوع وجلسوا على ركبتيه، وقد أتت الأمّهات بأولادهم ليحصلوا على بركته. فكيف تفكّر للحظة أنّه سيطردك؟ أريدك أن تتأكّد من أنّه ليس هناك أيّ شيء في شخصيّة المخلّص تدّل على أنّه سيطردك خارجًا.

إنّ من يعرفه جيّدًا يمكنه أن يؤكّد أنّ اللّه لا يرفض الفقير والمحتاج. فأيّ أعمى يأتي إليه باكيًا ولا يحصل على البصر، وأيّ شخص جائع ينظر إليه من دون أن يطعمه. لقد شعر يسوع بعجزنا – هو الأكثر لطفًا،

ومحبّة، وحنانًا من بين كلّ من عاش على الأرض. لذا أنا أتوسّل إليك أن تتأكّد من أنّك تستطيع أن تأتي إليه بجرأة ومن دون أيّ خوف أن ترفض. إن كان يسوع يملك القدرة أن يشفيك بمجرّد أن تلمسه، فتأكّد إذًا من لمسه. لا يوجد أيّ تساؤل حول موضوع إيمانك؛ إذ أنّ يسوع محبّ جدًا ولا يرفضك، بل سيسرّ بأن يقبلك.

هل ستفكّر ثانية بقدرة يسوع المسيح الكاملة على منح الخلاص، أو هل تملك أيّ حجج تشكّك بهذا الأمر؟ لقد كانت كلّ ملابس المسيح تفيض بالبركة، وقد غطّت البركة حتّى طرف ثوبه، ونرى ذلك حينما ـتت المرأة النّازفة ومسّت هدب ثوبه (لوقا 8:42-48). إن كانت تلك اللّمسة لمسة إيمان، فلا يهم أين لمسته. غالبًا ما يحكم على رغبة شخصٍ بالمساعدة بالقوّة التي يملكها. فعندما لا يملك شخصٌ الكثير ليقدّمه، فهو سيكون حتمًا إقتصاديًّا بعطائه، وهو يحسب كلّ قرشٍ قبل أن يعطيه إذ لا يملك الكثير ليوفّره. وإن كان هناك إنسان غنيّ لا حدود لثروته، تكون متأكّدًا من أنّه سيعطي بحريّة إن كان يملك قلبًا كبيرًا وحنونًا. إنّ الرّب إلهنا ممتلئ بقوّة الشّفاء ولا يقدر أن يتوقّف عن صنع المعجزات؛ وهو بحسب طبيعته المحبّة يسرّ بأن يفيض بالشّفاء وأن يتواصل مع من يأتي إليه. قد تعلمون أنّه لو كان هناك أيّ مدينة تفتقر للماء، ترسل الشّركة طلبًا بأنّ يخفّض مصروف المياه، وتصدر قيود مفروضة على الحمّامات العامّة والمصانع بسبب ندرة هذا السّائل الثّمين. لكنّك إن ذهبت على طول نهر ال"ثايمز" وخصوصًا في فصل الشّتاء، فستسخر من فكرة الاقتصاد باستعمال المياه. وإن أراد كلب أن يشرب من النّهر، فلا أحد سيسأل إن كان يملك الحقّ بذلك؛ فهو ينزل إلى المياه ويشرب منها بغضّ النّظر عن من يريد أن يشرب من بعده. انظروا إلى الماشية، كيف تقف في النّهر مغمورة إلى الرّكبتين لتشرب؛ ولا أحد يقول فيما يسير بمحاذاة نهر الثيمز، أنّ شعب لندن المسكين يعاني من نقص في المياه إذ إنّ الماشية والكلاب تشرب من النّهر قبل أن يصل إلى لندن. لا يمكننا أن نقدّم عريضة تمنع أصحاب هذه المواشي والكلاب من شرب مياه النّهر؛ وذلك لوجود الكثير من المياه،

ولوجود حرّية كبيرة تسمح لكلّ عطشان أن يشرب. قد تسأل "هل أستطيع؟" وأنا أجيب عن سؤالك بالقول: لا يوجد سبب يمنعك، بل كلّ ما هو في طبيعة المسيح يشجّعك؛ ولديه من الرّحمة ما يكفي لمنعك من الإعتقاد أنّك لا تستطيع الحصول على نعمته اللاّ متناهية.

علاوة على ذلك، افترض أنّك أتيت للمسيح كما أتت إليه المرأة النّازفة التي مسّت هدب ثوبه، فأنت لن تؤذيه. يجب أن تتردّد في تحصيل منفعة لنفسك عبر إيذاء الشّخص الّذي يساعدك. لكنّك لن تؤذي الرّب يسوع المسيح. وعندما شعر يسوع في نفسه بالقوّة الّتي خرجت منه، وأنا أؤمن بأنّه لم يشعر بأيّ ألم حينها بل شعر بسرور عظيم؛ شعر ببهجة كبيرة. إنّ لمسة الإيمان قد أثّرت فيه، واخترقت ثيابه، وسرّ بأن يردّ على اللّمسة بلمسة منه شافية مطهّرة.

لن تشوّه إلهنا، أيّها الخاطئ، حتّى ولو أتيت بكلّ ذنوبك إليه. ولن يكون عليه أن يموت ثانيةً ليغفر لك أحمال خطاياك. وليس عليه أن ينزف ولو نقطة دمٍ واحدة للتّكفير عن ذنوبك الكثيرة: فالذّبيحة الوحيدة التي قدّمت في الجلجثة، كانت عن كلّ الخطايا المحتملة. إن كنت ستأتي كما أنت، فهو لن يترك السّماء ثانية ليولد ثانية، ويعيش حياة حزينة مرّة أخرى ليخلّصك. ولن يحتاج أن يلبس ثانية تاج الشّوك، ولا أن يحتمل جرحاً آخر في يديه أو رجليه، أو جنبه. لقد أتمّ يسوع عمل الكفّارة: ألا تذكر صرخته المنتصرة – "قد أكمل"؟ فأنت لا تستطيع أن تؤذيه رغم كل أفكارك وكلماتك وخطاباتك المسيئة. ولن تستطيع أن تسلب منه أيّ شيء، إلا أنّ لمسة إيمانٍ منك قد تحمل الحياة لك. لدى يسوع كلّ الملء في ذاته، وكان كلّ الخطاة المساكين يأتون إليه دفعة واحدة، وعندما تأتي أنت إليه لتأخذ منه كلّ الإستحقاق الّذي تحتاجه، فهذا لن يجعله ينقص من استحقاقاته تجاه البشر. إذ أنّك حين تتعامل مع أمر غير متناهي يمكنك أن تقسمه أو تطرحه، لكنّك لن تجعله ينقص أبداً. وإن اغتسل كلّ بشريٍ بينبوع استحقاقات يسوع الأبديّة، فالينبوع سيظلّ كما هو.

آخرون كثيرون قد تحدّوه مثلك، لكنّهم لم يجدوا أيّ حالة رفض من قبله. عندما كنت طفلاً، كنت أعتقد مثلك أنّ الإنجيل كتاب رائع، ومجانيّ للكلّ باستثنائي. لم يكن عليّ أن أتساءل إن كان أبي وأمّي وإخوتي وأخواتي قد حصلوا على الخلاص؛ لكنّ العاجز عن الحصول عليه هو أنا. وكان عجزي هذا بقدر عجزي عن الحصول على ماسات الملكة. لقد اعتقدت أنّ الإنجيل هو مثل سيّارة مسرعة لا تستطيع أن تقفز إليها. وكنت مقتنعاً أنّ الجميع سيحصل على الخلاص ما عداي؛ لكنّني حين طلبت الرّحمة بدموع، وجدتها. وكل توقّعاتي بإيجاد الصّعوبات فشلت. إذ أنّني منذ اللّحظة الّتي آمنت فيها، وجدت السّلام لروحي. وعندما فهمت أنّ "هنالك حياة لمن ينظر إلى المصلوب"، نظرت إليه، ووجدت الحياة الأبديّة.

أنا متأكّد أنّه لا يوجد شخص يمكنه أن يشهد ضدّ هذا. بل أتحدّى العالم كلّه أن يقدّم شخصاً واحداً طرد عن باب المسيح، أو مُنِع من أن يجد الخلاص. لذا فأنا أرجوك أن تلاحظ ذلك، لأنّ آخرين كثيرين قد سلكوا هذا الطّريق إلى الحياة والسّلام؛ لقد جعل الله هذا الطّريق، طريقاً وحيداً لنوال الرّحمة. وعلى الطّريق، أيّها الخطاة المساكين، وضعت العديد من اللاّفتات: "هذا الطّريق للخطاة. هذا الطّريق للأثمة. هذا الطّريق للجياع. هذا الطّريق للعطشانين. هذا الطّريق للضّائعين. تعالوا إليّ يا جميع التعبين والثّقيلي الأحمال وأنا أريحكم." فلماذا تحتاج أن تقول "إذا استطعت". لا يوجد أيّ غرفة تحمل لافتة "إذا استطعت"، أوّلاً لأنّك مدعوّ للحضور؛ لقد دعاك يسوع العديد من المرّات بواسطة كلمة الله. "والرّوح والعروس يقولان تعال. ومن يسمع فليقل تعال. ومن يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجّاناً." (رؤيا22:17). "أيّها العطاش جميعاً هلمّوا إلى المياه والذي ليس له فضّة تعالوا اشتروا وكلوا. هلمّوا اشتروا بلا فضّة وبلا ثمن خمراً ولبناً." (إشعياء55:1). إنّ يسوع المسيح يدعو كلّ المتعبين والثّقيلي الأحمال ليأتوا إليه وهو يريحهم. ثق وتأكّد أنّ الله صادق في وعوده؛ وإنّه هو من دعاك، فهو حتماً يريدك أن تقبل الدّعوة. فبعد قراءتك لدعوات الله العديدة في

كلمته، لا يمكنك حينها أن تقول "هل أستطيع؟" إذ سيكون هذا تشكيك خبيث بمصداقيّة الله.

بالإضافة إلى كونك مدعوّ، فأنت متوقّع أن تأتي. مقاطع عديدة في الكتاب المقدّس تتكلّم عمّا هو أكبر من مجرّد دعوة؛ إذ إنّ الله يقنعك ويرجوك أن تأتي إليه حتّى أنّه يبدو كشخص يبكي ويصرخ، "قل لهم. حيّ أنا يقول السيّد الرّب إنّي لا أسرّ بموت الشّرير بل بأن يرجع الشّرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرّديئة. فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل." (حزقيال11:33). عندما هيّأ ربّنا وسيّدنا حفل العشاء وأرسل الدّعوات، كثيرون ممّن دعوا لم يأتوا بل أرسلوا خدّامهم بدلاً عنهم. إنّي أتوسّل إليك وأنصحك وأحذّر كلّ من لم يؤمنوا بعد بالمسيح أن يؤمنوا حالاً. إنّي أرجوك باسم يسوع المسيح أن تبحث عن المسيح وأن تسعى إليه. أنا لا أقول لك "إن أردت أو لم ترد" لكنّني أقولها من كلّ قلبي "تعال ليسوع. تعال وأرح روحك وألق بها عليه." ألا تفهم رسالة الإنجيل؟ أتعرفون ما يطلبه وما يعطيه؟ إنّ يسوع يمنحك العفو التّام في اللّحظة الّتي تؤمنون به فيها. ستحصلون على حياة لا موت بعدها؛ فاستلمها الآن من خلال إيمانك بيسوع المسيح ابن الله. لا يهم ما تكون، أو ما قد فعلت، إن آمنت به من كلّ قلبك أنّ الله أقامه من الموت، وإن أطعته كربٍّ ومخلّصٍ، عندها ستغفر لك كلّ أنواع الخطايا والذّنوب إذ ستختفي كالغيمة وسيصنع منك الله خليقة جديدة في المسيح. فالأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكلّ قد صار جديداً.

وهذه هي النّقطة المهمّة – الإيمان بالرّب يسوع المسيح؛ قد تنظر إليّ قائلاً "لكن هل أستطيع؟" الحقيقة هي أنّك لم تدعَ أو تشَجَّع على ذلك فقط، إنّما أنت قد أمِرتَ بذلك. هذه هي الوصيّة – أن تؤمن بيسوع المسيح المرسل من الله. هذه هي البشارة: "من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن" (مرقس16:16). هناك أمر يقترن بعقوبة إن لم ينفّذ. وبعد هذا، أيجب أن تقول "هل أستطيع؟" "هل أقدر أن أخلص؟" إنّ قرأت "تحبّ الرّب إلهك من كلّ قلبك" فهل تقول "هل أستطيع أن أحبّ الله؟". وإن قرأت "أكرم أباك وأمّك"، هل تقول "هل أكرم أبي

وأمّي؟" بالطّبع لا. إذ أنّ الوصيّة هي أكثر من مجرّد إذن. أنت مديون إن لم تؤمن، لذا أعطيت الحقّ بالإيمان – ليس فقط الإذن بذلك، بل مطلق التّرخيص. أولا تستطيع أن ترى هذا؟ ألن تصرخ لله: "إن كنت ستدينني يا اللّه بسبب عدم إيماني، وإن كنت قد أعطيتني الحريّة المطلقة في الكتاب المقدّس لأؤمن؛ فإنّي سآتي إليك وأضع ثقتي فيك يا يسوع". وحينها سيصل سؤال "هل أستطيع؟" إلى نهاية أكيدة. أولا تريد هذا؟ ليت الرّوح القدس يظهر لك، أيّها الخاطئ الضّعيف، أنّه بإمكانك الآن أن تلقي خطاياك تحت أقدام المسيح وتخلص. ربّما أنت تؤمن. فأنت الآن تملك الحريّة المطلقة أن تعترف بخطاياك وتستلم العفو مباشرة. اطرح الآن روحك المذنبة والآثمة عليّ، كي تستطيع أن تعيش من الآن وصاعداً بامتنان شديد لحبّه الكبير.

الفصل الرابع عشر: إجابة على سؤال غير ضروري

إن كنت أسمح لنفسي أن ألمس هدب ثوبه، فسأشفى" ولكن يظهر " سّؤال أصعب: "هل أستطيع؟ أنا أعلم أنه من الممكن إن استطعت؛ لكن لا أستطيع". وهنا سأجيب عن هذا السؤال. إنّ إرادة الإيمان بالمسيح هي عمل النعمة، وحيث الإرادة موجودة والرّغبة شديدة، فهناك مقدار من النعمة قد أعطيَ ومعه قوّة للإيمان. ألا تعرف أن الإرادة بارتكاب قلة الأمانة في العلاقة هي، وفقًا للكتاب المقدس، زنًى؟ إذ حينها يكون قد ارتكب هذا الخطأ في قلبه. فإن كان فكر

الخطيئة أو الإرادة على الخطأ هو الشيء عينه، فرغبة الإيمان أو إرادة الإيمان يحتويان على الجزء الأكبر من الإيمان؛ وأشدّد على عبارة "الجزء الأكبر" إذ حين حوّلت قوة ألله عقل الإنسان إلى أن يؤمن، يكون العمل الأعظم قد تمّ، أمّا الإيمان الفعلي فسيلحقه حتماً.

إنّ الرغبة الكاملة في الإيمان تشكّل تسعة أعشار الإيمان. بقدر ما تملك الإرادة داخلك؛ ستأتيك القوّة التي تطلبها. لقد كان الرّجل ميتًا، وأصعب الأمور كان إحياءَه. ولكن في هذه الحالة التي أمامنا، فإنّ الأمر قد حصل وهو يريد ويرغب ويتوق إلى أن يؤمن، وكم من الأعمال قد عملت له! إنّ القيامة من الأموات هي أعظم من أداء فعل الحياة. إنّ الإيمان بيسوع المسيح هو أبسط فعل يمكن للإنسان القيام به. إنّه عمل طفل؛ بالفعل، إنه فعل مولود جديد في النعمة. إن حديث الولادة لا يظهر أبدًا أيّ حركة معقّدة. نحن نقول، " آه، إنه أمر طفولي"، ومعنى ذلك أنّه صغير جدًّا. والإيمان يأتي في اللّحظة التي يصبح فيها الطفل ضمن عائلة الله؛ هذه هي الولادة الجديدة. وإحدى أولى العلامات والرّموز للولادة الجديدة هي الإيمان؛ لذا يجب أن يكون أمرًا سهلاً جدًّا. أخاطر بالقول بأن الإيمان بالمسيح يختلف عن الإيمان بأي شخص آخر. أنت تؤمن بأمك: بإمكانك أن تؤمن بالمسيح ابن الله بالطّريقة نفسها. أنت تؤمن بصديقك: إنّه الفعل نفسه الذي يجب أن تقوم به تجاه صديقك الأعلى والأفضل. أنت تؤمن بالأنباء والأخبار التي تصدر وتطبع يوميًا بالمجلات والصحف: إنه الفعل عينه الذي يجعلك تؤمن بالكتاب المقدس ووعود الله.

إنّ سبب كون إيماننا بالمسيح أعظم من إيماننا بأيّ شخص آخر يكمن بكون المسيح شخص متفوّق تقدر أن تؤمن به؛ وكون البشارة التي تسمع أعظم من كلّ الأخبار الاخرى، وكون ميول قلبك الطبيعيّة هي الإيمان بالمسيح أكثر من أيّ شخص آخر. والرّوح القدس هو من عليه أن يعلّمنا كيف، ومن خلال الإيمان، يمكننا أن ندرك الأمور الجليلة عن المسيح؛ ولكن هذا الإدراك يجب أن يمتلك بيد بسيطة كإيمان طفولي. لكنّ الإيمان بيسوع هو نفسه. إنّه عطيّة الله الذي يعطيك فهمًا وحكمةً

لمعرفة الابن ولقبوله. إنّ إيمان الطفل بوالده هو دائمًا إيمان رائع، كالإيمان الذي يجب أن نملكه بالمسيح يسوع. فالعديد من الأولاد يعتقدون أنه لا يوجد رجل آخر في العالم عظيم وجليل، وغني وما إلى هناك، مثل والدهم؛ وإن قال أحدهم لهم بأن والدهم ليس عظيمًا يشعرون بالحزن؛ فإن لم يكن والدهم ملكًا، فهنالك حتمًا خطأ ما. العديد من الأولاد يظنّون هكذا في أهلهم، وهذا هو نوع الإيمان الذي يجب أن نملكه تجاه الرّب يسوع المسيح، الذي يستحق مثل هذه الثّقة، لا بل أكثر. يجب أن نؤمن بيسوع مقدّمين له من خلال إيماننا المجد والعظمة.

كما أنّ الطّفل لا يفكّر مطلقًا من أين سيأتي طعامه في اليوم التّالي، ولا يخطر القلق بباله الصّغير بشأن جوارب جديدة يحتاجها ، هكذا يجب أن تثق بالسيّد المسيح بشأن أيّ شيء تريده بين الأرض والسّماء – وأن تأتمنه بدون طرح الأسئلة. إذ هو قادر أن يمنحك ما تريده. فقط سلّم نفسك كليًّا له، كطفل يرمي بنفسه على عناية والديه، ويشعر بأنّه في راحة. كم هو بسيط هذا العمل، عمل الإيمان! أنا متأكد أنّه فعل بسيط، ولا يحتاج إلى حكمة عظيمة إذ إنّني ألاحظ أنّ النّاس الحكماء لا يقومون به؛ والناس الأقوياء لا يقومون به أيضًا، والناس الأتقياء بنظر أنفسهم لا يحصلون عليه. الإيمان هو فعل يقوم به ذوي القلوب الطّاهرة طهارة الأطفال، أولئك الذين يظنّ أنّهم أغبياء وحمقى ... أولئك المضطّهدون بسبب حماقتهم. " ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله ... ضعفاء العالم ... وأدنياء العالم والمزدرى ..." (1 كورنثس 1: 26-27).

هناك العديد من الأشخاص الغير المثقّفين، لكنّهم يعرفون كتابهم المقدّس جيدًا وهم يعرفون أنّه صحيح، ولهم إيمان لا يخزى: هم فقراء في هذا العالم ولكنّهم أغنياء في إيمانهم. إنهم سعداء. وأسفاه، لأولئك النّاس الحكماء الذين تمنعهم حكمتهم من أن يؤمنوا بالمسيح! فقد قصدوا أكثر من جامعة واحدة، وحصلوا على كافة العلوم والإجازات التي من الممكن أن يحصلوا عليها، ومع ذلك فهم لا

يؤمنون بالمسيح يسوع الذي هو ابن الله. يا أصدقائي، لا تظنّوا أنّ الإيمان أمر صعب ومعقّد، بل إنه أبسط فعل يمكن للعقل أن يؤدّيه.
ربّما يعلّق احدهم قائلاً: "ولكن ألا يجب عليّ أن أفعل الكثير من الأعمال الجيدة؟". الحقيقة هي أنّه بإمكانك أن تفعل قدر ما شئت عندما تصبح مخلّصًا؛ ولكن في مسألة خلاصك يجب أن تطلق كلّ صلاحك الذاتي بعيدًا كذلك أعمالك الطائشة التي ستحطّمك وتدمّرك، وتعال ببساطة إلى المسيح، إليه وحده، واثقًا به.
ويقول آخر "أنا أعتقد أنّي أرى نورًا خفيفًا. وإذا كنت قادرًا أن أحصل على قوّة كافية لائقة بالمسيح، سأكون قد أتممت الكلّ". لكن دعني أسأل سؤالاً آخر: ألم تكن تعلم أنّك متّجه للإيمان بالمسيح؟ إنّ اتّهامي الوحيد هو أنّ الكثيرين يستطيعون، لكنّهم ينظرون إلى العلامات والعجائب التي لن تحصل. فلماذا لا نذهب إلى أبعد في استخدام هذه القوة. لقد أعطاك الرّوح القدس مقدارًا معينًا من الإيمان؛ فآمن بطريقة صحيحة وصراحة تامّة. ولماذا ترتعش عند مجرّد الشك بالمسيح؟ فمن لا يصدق الله يجعله كاذبًا لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها عن ابنه. (1 يوحنا 5: 10). فهل تجعل من الله كاذبًا؟ لما لا نعلن إيماننا ونقول "أنا أؤمن وسأؤمن بأن المسيح هو ابن العلي وهو قد مات عن خطايا البشر وهو قادر أن يخلّص من يثق به، ولأجل ذلك أنا أثق بأنه قادر أن يخلّصني. إنّي أثق به سواء كنت سابحًا أو غريقًا، هالكًا أو مخلّصًا. كما أنا بدون أي تضرّع، موقنًا أنه قادر ومصمّم أن يخلّصني، سأرمي بروحي المذنبة أمامه. أنت تملك القدرة أن تثق بيسوع عندما تكون قد استسلمت لحقيقة كونه محطّ ثقة. وما عليك إلاّ أن تدفع إلى الخاتمة العملية التي صنعها فيك الرّوح القدس وستجد حينها السلام.
إن كنت ما تزال تعتقد أنّ هناك أمرًا يقف عائقًا دون إيمانك بالمسيح، وبالرغم من أنّك تعرف أنّ إيمانك هو السّبيل الوحيد لخلاصك، فأنا آمل بصدق ألاّ تبقى ولو لساعة واحدة بعيدًا عن الإيمان الكامل والمخلّص بيسوع المسيح؛ لأنّه إن متّ غير مخلّص ستضيع للأبد في الظلام.

فأمانك الوحيد هو أن تؤمن بالمسيح يسوع من كل قلبك وأن تطيع أوامره ووصاياه.
4